ملاحظات على ترجمة معاني القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي جاك بيرك

الدكتور: حسن بن إدريس عزوزي

مقدمة

يعد تقويم ترجمات معاني القرآن الكريم الذائعة الصيت والواسعة الانتشار مع التنبيه على مضامينها ومحتوياتها من أفضل السبل وأجدى الطرق الكفيلة بتحسين صورة الإسلام وبيان حقائق القرآن ومعانيه الصحيحة. ولما كانت ترجمة المستشرق الفرنسي جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم من أبرز المحاولات المعاصرة التي لقيت صدى واسعا وتوفية إعلامية هائلة جعلتها تتربع كرسي الصدارة في الاستشراق الفرنسي، فإن العمل على تقويمها وإبداء ملاحظات عليها يتطلب الإحاطة بمنهج المترجم في التعامل مع المصطلحات والألفاظ القرآنية بكل ما تتضمنه من إشارات وظلال، ثم استعراض الطريقة المتبعة في نقل الآيات القرآنية بما تحمله من معان وإيحاءات وروعة بيان وتركيب.

وهذا ما سأحاول في هذا البحث-بإذن الله- فحصه ودراسته وتصنيفه بعد الإفصاح عن دواعي اختيار ترجمة جاك بيرك، واستعراض بعض مواقف المترجم من القضايا القرآنية في مقدمته.

تمهيد :لماذا ترجمة جاك بيرك[1]

صدرت ترجمة بيرك لمعاني القرآن الكريم[2] سنة (١٩٩٠) وقد صدرت في هذه السنة ترجمتان فرنسيتان أخريان وهما لكل من أندريه شوراكي[3] ورينيه خوام[4]، وقد اشتهرت ترجمة بيرك أكثر من غيرها لأسباب وعوامل معينة هي التي دفعتنا إلى اختيارها لإبداء ملاحظات حولها، وترجع هذه الأسباب والعوامل إلى ما يلي:

---

(١) جاك بيرك Jacques Berque من أبرز المستشرقين المعاصرين، فرنسي كاثوليكي ولد بضواحي الجزائر العاصمة عام ١٩١٠م حيث قطن بها العشرين سنة الأولى من حياته، تعلم خلالها اللغة العربية وتعمق فيها من خلال انتقاله إلى المغرب لمزاولة بعض المناصب الإدارية والعلمية، وكان لتعيينه مراقبا مدنيا إبان عهد الحماية الفرنسية في المغرب من ١٩٣٤م إلى ١٩٣٩م أكبر الأثر في الاحتكاك بقبائل المغرب والاطلاع على مختلف اللهجات والعادات والتقاليد، وهو ما وظفه في أطروحته للدكتوراه (١٩٥٥م). شغل الوطن العربي هاجسه الأكبر طوال نصف قرن من الزمن حيث ضمَّن مختلف نظرياته وأفكاره حول العرب في كتبه التي تجاوزت الأربعين أبرزها : المغرب بين حربين (١٩٦٢م) والمغرب : تاريخ ومجتمع (١٩٧٤م) والعرب من الأمس إلى الغد (١٩٦٠م) وكتاب "الشرق الثاني" ١٩٧٠، وكتب عن الإسلام كتابه (الإسلام في مواجهة التحدي ١٩٨٠م وكتاب "الإسلام في زمن العالم (١٩٨٤م) بالإضافة إلى كتابه :"إعادة قراءة القرآن" (١٩٩٣م) وترجمته لمعاني القرآن الكريم " (١٩٩٠م).

يرفض جاك بيرك أن ينعت بالمستشرق لأن المصطلح قد أضحى ملَوَّثا،إلا أنه مهما حاول التخلص من اللقب فإنه رغما عنه معدود ضمن المستشرقين المعاصرين وإن كان توجهه الاستشراقي شمل تخصصات كثيرة. توفي يوم٢٩ يونيه ١٩٩٥م (انظر ما كتبته عنه في كتابي:دراسات في الاستشراق ومناهجه طبعة فاس ١٩٩٩م ص ١٣-١٧وراجع مذكرات بيرك تحت عنوان:مذكرات الضفتين Mémoires des deux rives (paris 1989

(2)Jacques Berque ; Le Coran , ed Sindibad 1990 .

(3)A, Chouraqui ; L ' Appel , ed Robert Laffont - Paris 1990.

(4)René Khawam : Le Coran , ed Maison neuve et Larose Paris 1990.

أولاً: لقد أمضى بيرك في إعداد الترجمة أكثر من عشر سنوات متواصلة مما قد يفهم منه أن الرجل قد وفَّى المشروع حقه من الوقت، وأنه كان متريثا ومدققا وعلى غير عجلة من أمره، وهو ما يعطي للعمل أهميته وقيمته. ولعل ما يعزز هذا العامل تصريح بيرك بأنه أعاد قراءة الترجمة وتنقيحها ثلاث مرات كما أنه استأنس بمعظم التفاسير القرآنية المشهورة التي وضع أمام القارئ لائحة بعناوينها ، فهذه الأمور جميعها تدفع إلى اختيار هذه الترجمة على غيرها أملا في اكتشاف عمل أفضل وأقرب إلى الصواب من غيره، من الأعمال في مجال ترجمة معاني القرآن الكريم.

ثانيـاً: يعد جاك بيرك من أبرز المستعربين المعاصرين، وإجادته للغة العربية وقواعدها – بالرغم مما يعتريها من نواقص كما سوف نرى– جيدة بالمقارنة مع مستويات إتقانها من طرف زملائه من المستشرقين، ولعل هذا ما أَهَّله لأن يكون عضوا بمجمع اللغة العربية بالقاهرة، حيث رأى فيه أعضاء المجمع الرجل المستعرب القادر على مناقشة مختلف القضايا اللغوية ودراستها. ولاشك أن مَن كان هذا حاله يعد أقدر من غيره على التجاوب والتعامل مع النصوص القرآنية فهما وترجمة وتعليقا، فكان هذا الأمر من بين العوامل والدوافع الرئيسة إلى اختيار ترجمته لتقويمها وإبداء ملاحظات عليها.

ثالثـاً: عُرِف جاك بيرك لدى المهتمين والمتتبعين باعتداله وموضوعيته وعدم تهجمه على الإسلام بصفة مباشرة،فهو يعد نفسه (أخا العرب)، وبالرغم من أن حقيقة الأمر تدل على أن مواقف الرجل من الإسلام لا تخلو من انتقاد وتهجم واستهتار أحيانا ببعض القضايا والمبادئ والأسس الإسلامية (كما عبر

عن ذلك في مقدمة الترجمة)، إلا أن موقع بيرك ضمن المنظومة الاستشراقية المعاصرة يعد متميزا بالمقارنة مع غيره من زملائه الذين يباشرون التهجم وتشويه الحقائق بصورة تصدم المشاعر وتقوض البداهات والمسَلَّمات التي نؤمن بها.

رابعاً: لعل من أبرز الأسباب والدواعي التي دفعتنا إلى اختيار عمل جاك بيرك ما أحدثته ترجمته من صدى واسع عشية صدورها وبعد ذلك بسنوات، حيث تلقت مختلف وسائل الإعلام العربية والفرنسية خبر صدور الترجمة بكثير من الترحاب؛ نظرا لشهرة الرجل وموقعه المتميز في منظومة الاستعراب والاستشراق، وقد ساهمت الخدمة الإعلامية المكثفة لحدث صدور ترجمة جاك بيرك في إشهارها وذيوع خبرها، وراحت كثير من صحفنا ومجلاتنا العربية تتسابق لإجراء حوار أو استجواب مع المترجِم الذي استغل الفرصة لإبداء كل مشاعر التقدير والاحترام تجاه القرآن الكريم متشدقا بكون ترجمته تعد الأفضل والأحسن.

وإذا كان اشتهار أمر الترجمة وذيوع خبرها من بين الأسباب التي دفعتنا إلى اختيارها لفحصها وتقويمها، فإننا لا ننكر أن مما يحز في النفس بعد قراءة الترجمة ودراستها - أن بيرك قد تسنم بعد صدور ترجمته مجدا أثيلا لا يستحقه، كما أن ترجمته لمعاني القرآن الكريم قد تبوأت مكانة وشهرة لا تستحقها البتة، فالإعلاميون بمختلف توجهاتهم راحوا يطلقون أحكاما إيجابية وتبجيلية على الترجمة بصورة مجانية، وأخذوا يُضفون عليها هالة من الإشادة والتقدير من دون

اطلاع على محتوياتها ومضامينها[1]، ولما كان الحكم على الشيء فرعاً عن تصوره بات لزاما على كل من أراد أن يطلق حكما على عمل علمي ما - لا يخلو بطبيعته من نواقص وأخطاء - أن يقرأ العمل كاملاً أو بعضاً منه على الأقل، وهذا ما أكده جاك بيرك نفسه في معرض رده على بعض الانتقادات التي وجهت إلى ترجمته لمعاني القرآن، عندما ذهب إلى أن فترة السنوات الثلاث التي أعقبت صدور ترجمته تعد غير كافية لمن أراد أن يقدم نقداً علمياً ضافياً للإنجاز البيركي كاملاً [2].

خامساً: لا شك أن أبرز سبب دفع إلى اختيار ترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم هو الرغبة في بيان الحقيقة، وأن ما شاع من أن ترجمة الرجل تعد جيدة للغاية وأقرب ما تكون إلى الصواب أمر غير صحيح، وهي إشاعة قائمة على أسباب غير موضوعية ولا علمية، فالدراسة العلمية المتعمقة والمتأنية لعمل بيرك تدل بوضوح على أن ثمة أخطاء فظيعة ونواقص كثيرة احتوت عليها الترجمة تجعل من الصورة الرائجة عنها أمرا غير صحيح، لذلك فإن واجب تصحيح المفاهيم السلبية والاجتهادات الخاطئة والمحاولات المغرضة لقلب الحقائق، وليّ أعناق النصوص القرآنية، وتحريف المعاني وتشويه المقاصد مما تضمنته الترجمة

(١) انظر على سبيل المثال مجلة القاهرة (عدد غشت ١٩٩٣م) ومجلة رسالة الجهاد الليبية ع ٨٤ (عام ١٩٩٠م) ومجلة زهرة الخليج عدد ٧٨٦ (عام ١٩٩٤م) وجريدة القبس الكويتية ليوم ١٩٨٩/٢/٢٦م (عن قرب صدور الترجمة) وغيرها.

(2)J Berque: Autour d'une traduction du Coran , in Studia Islamica N° 79 Paris 1991 p 183.

يفرض الفحص الموضوعي الجيد والتقويم العلمي الصحيح، المدعم بالأدلة والبراهين الموثقة.

حول مقدمة الترجمة

لقد نوه بمحاولة جاك بيرك هاته العديد من الباحثين المهتمين، كما تعرضت في الوقت نفسه لكثير من الانتقادات العنيفة، بيد أن هاته وتلك تبدو في معظمها صادرة عن اعتبارات وخلفيات معينة أكثر من كونها نابعة من دراسة متعمقة لعمل بيرك. فالتنويهات التي صاحبت صدور الترجمة انطلقت من كون أصحابها على صلة أو معرفة بالمستشرق الفرنسي صديق العرب المحترم والمدافع عن حقوقهم ومطالبهم إبان مرحلة الاستعمار الفرنسي، وبالتالي فإن أي عمل يصدر عن الرجل–ولو كان الأمر يتعلق بترجمة معاني القرآن الكريم– لا يمكن إلا أن يكون عملا جليلا وفي صالح العرب والمسلمين.

ولا شك أن المطَّلِع على مجلة "القاهرة" في عدد خاص لها عن جاك بيرك بعد صدور ترجمته سرعان ما تتضح له –من خلال المقالات المنشورة ضمن الملف– معالم هذا التوجه المغالي في الإشادة بأعمال الرجل من غير دراسة لها أو فحص لمضامينها، فهذا محمد سنكير الكاتب الجزائري المقيم في فرنسا يقول عن ترجمة بيرك لمعاني القرآن: "تتميز ترجمة بيرك قبل كل شيء بسهولة قراءتها وفهمها، فهي ليست ترجمة إلى اللغة الفرنسية بل هي لو أجزنا قبول هذا التعبير القرآن باللغة الفرنسية، وهي ليست خدمة تؤدى إلى اللغة الفرنسية بل هي هدية مهداة إلى المسلمين وإلى المثقفين الذين يعجزون عن قراءة النص العربي بلغته الأصلية والذين يتمكنون بفضل ترجمة بيرك من التعرف على جمال الأسلوب وعمق التفسيرات وجمال الموسيقى الداخلية للألفاظ في

القرآن الكريم ... وعلى ذلك فإنه يجب علينا أن نحيي هذه الترجمة التي قد تكون الأولى من نوعها التي تفتح باب النقاش فيما يتعلق بدور الإسلام في العالم، وكذلك وجهة نظر الغرب في القرآن الكريم والعقيدة الإسلامية "[١].

أما التوجه الثاني فينطلق في انتقاده لترجمة جاك بيرك من كون صاحبها مستشرقاً متشبعاً بروح الاستشراق المؤسس على فكرة معاداة الإسلام ومواجهته وعدم الإيمان بمبادئه وقيمه ومُثله، وهذا الحكم وإن كان في جانب كبير منه صحيحا إلا أنه فيما يخص ترجمة بيرك لا يبدو موضوعياً، لأنه لم ينبع من دراسة فاحصة للعمل، وإنما هو حكم سابق ناتج عن نظرة عامة إلى خلفية المستشرق الفرنسي الفكرية المخالِفة والمناوِئة. وبعيداً عن التوجُّهين والموقفين غير المبنيين على دراسة موضوعية شاملة لترجمة معاني القرآن الكريم التي قام بها جاك بيرك تسعى محاولتنا هذه إلى الحكم على هذا العمل من خلال دراسة متأنية وعميقة وملاحظات دقيقة وهادفة.

إن معالم منهج بيرك في ترجمته لا تتضح فقط من خلال نقله للمعاني القرآنية إلى اللغة الفرنسية، بل هناك أيضاً تلك المقدمة المستفيضة التي ألحقها بالترجمة والتي ضمنها كثيرا من أفكاره وآرائه في القرآن الكريم، وهي أفكار وآراء لا تُعَبِّر بتاتا عن صورة ذلكم المستشرق المعتدل أخي العرب وصديقهم التي حاول بعض المثقفين العرب إبرازها لامعة وحسنة.

---

(١) مجلة القاهرة عدد غشت ١٩٩٣م ص١٥ والمقال نشر في أصله باللغة الفرنسية بجريدة Le Monde diplomatique تحت عنوان : جاك بيرك والإسلام المستنير.

إن مقدمة الترجمة التي بقدر ما تعد زائدة ولا علاقة لها بصميم ترجمة معاني القرآن الكريم تعد ذات تأثير خطير في أفكار كل مَنْ أقدم على قراءة الترجمة مصحوبة بهذه المقدمة، وبخاصة بالنسبة للغربيين.

وإذا كان جاك بيرك قد خالف طريقة كثير من تراجمة القرآن من المستشرقين في وضع مقدمات ضافية ومسهبة تتضمن عرض تاريخ موجز للإسلام وحضارته وسيرة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومراحل جمع القرآن وترتيب سوره وغير ذلك، فإن مترجمنا قد حاول أن يخفي أفكاره وراء مُسوح العبارات اللغوية المعقَّدة والتحذلقات البلاغية الملتوية التي طبعها بكثير من الشاعرية حينا ومن التعقيد أحيانا أخرى، وهي الأفكار التي لا يكاد يفطِن لخطورتها ومدى أثرها السلبي إلا من أحسن قراءة ما بين السطور وتمعن جيدا في ما تحمله عباراته وتعبيراته من إشارات وتلميحات خفية. إن الذي يظهر بوضوح أن بيرك كان لبقًا -إن لم نقل متحايلاً- عندما مزج بين أسلوب الطعن واللمز وأسلوب الإعجاب ببعض القضايا القرآنية، وفي عملية المزج هذه ما لا يخفى من التمويه على القارئ من جهة وإرضاء أصدقائه وقرائه من المسلمين من جهة أخرى.

ولعل ما يؤكد لنا هذا الأمر وقوع كثير من مثقفينا المنبهِرين بترجمة الرجل في هذا الذي نُنَبه عليه، فعلى سبيل المثال سأله مراسل مجلة " القاهرة" عن سر التواضع في اختيار عنوان الترجمة الذي هو " محاولة لترجمة معاني القرآن" فأجاب بيرك بقوله: " هذا التواضع يرجع بالدرجة الأولى إلى صعوبة العمل، فالقرآن الكريم يجمع بين التعقيد الشديد والبساطة المتناهية مما يجعل الترجمة شبه مستحيلة دون إضافة التفسيرات التي توضح بعض المعاني. وهذه

التفسيرات قد تؤثر بدورها في القيمة الجمالية للعمل، لذلك لاقيت صعوبة شديدة في محاولة توصيل المعنى دون إضافات قد تؤثر في عظمة وجمال الآيات القرآنية(١).

إن عملية المزج بين أسلوب القدح وأسلوب المدح في مقدمة الترجمة لا تعبر عن منهج جديد يطلع به علينا بيرك، وإنما عرف بذلك في كثير من مراحل حياته العلمية والفكرية، إذ لا يخفى أن بيرك يحسن الظهور بمظهر المستشرق ذي الوجهين(٢)، فهو إن حاضر في البلاد العربية أو أجري معه حوار عربي راح يتشدق بكل أوصاف الانبهار بأسلوب القرآن ومضامينه ومقاصده، والإفصاح عن مدى إعجابه ببذور العقلانية والروحانية السامية التي يتضمنها القرآن الكريم، أما إذا خاطب جمهور الفرنسيين فإنه لا يتوانى في القدح في مضامين القرآن وتأكيد أنه يحتوي على أمور غير معقولة ومتجاوزة . . .لقد أراد جاك بيرك أن يحافظ على علاقاته الوطيدة مع كثير من مثقفي الدول العربية والإسلامية مع الاحتفاظ في الوقت ذاته بشخصية المستشرق الملتزم بأفكاره ومبادئه المقتنع بمواقفه تجاه الإسلام والقرآن الكريم على وجه الخصوص.

إذن فالواضح أن فحص ترجمة معاني القرآن الكريم التي قام بها جاك بيرك لا يمكن أن تتم بمعزل عن دراسة عامة للمقدمة التي ألحقها بعمله(٣)،

(١) مجلة القاهرة عدد مذكور ص ١٤.

(٢) تنظر مقالتي " المستشرق ذو الوجهين" في جريدة العالم الإسلامي التي تصدرها رابطة العالم الإسلامي العدد ١٦٩٠.

(٣) وضع جاك بيرك مقدمته المطولة في آخر الترجمة وأبقى على تمهيد مقتضب في خمس صفحات في أول الترجمة، تحدّث فيه عن الظروف التي تم فيها إعداد الترجمة، وقد دفعته لباقته المعهودة فيه إلى أن يستهل هذا التمهيد بقوله: "القرآن لا يمهد له".

لأنها أولا تعبير جلي عن كثير من معالم تفكير الرجل وموقفه تجاه القرآن الكريم. كما أنها تبرز -من جهة ثانية- للقارئ منهج المترجم في التعامل مع الألفاظ والمصطلحات القرآنية ذات الحمولة الدينية والعقدية المفعمة بالحساسية بالنسبة للمترجم غير المسلم. ما أبرز المحاور الأساسية والنقاط التي تعرض لها جاك بيرك في مقدمته؟

إن المتمعن مَلِياً فيما تكاد تُخفيه عبارات بيرك المتحذلقة والمعقَّدة من إشارات وتلميحات غير بريئة يتبين له بجلاء نهجه أسلوب التشكيك في الوثوق بالقرآن الكريم ومصدره ومصداقية الوحي المحمدي، فابتداء من الصفحات الأولى من المقدمة يعقد المترجم مبحثا لقضية ترتيب الآيات والسور وهي القضية التي لا يمكن لأي مستشرق يبحث في القرآن وعلومه إلا أن يتعرض لها بما يثير التساؤلات الغريبة ويفرز الإشكالات المثيرة. يقول وهو يخاطب القارئ :"إن ترتيب السور في المصحف لا يتوافق مع الترتيب الزمني للتنزيل أو النزول، والأكثر من ذلك أننا نجد في إطار السورة الواحدة آيات نزلت في أوقات متباعدة، ولا ترى العقيدة ولا علوم الإسلام أي حرج في ذلك. بل إن التنافر بين ترتيب النزول وترتيب الجمع يتعاظم أحياناً ليصل إلى حد التناقض كما في سورة الأنفال وسورة التوبة أو الفاتحة.."[1].

وبعدما قدَّم نماذج على ما يزعمه متناقضاً ومتنافراً في السور العشرين الأولى من المصحف، لا يجد بيرك ما يختم به -وهو يريد زَرْعَ روح الشك والتشكيك في ذهن القارئ- إلا أن يقول:" إن المؤمن لا يتساءل -بطبيعة

---

(1)Jacques Berque ; Le Coran , p714-715

الحال- عن هذه التناقضات والتفاوتات الشكلية، لكنه بالمقابل يلاحظ -كما نفعله- بأن كثيراً من التنزيلات المكية قد تجمعت في آخر المصحف لكي تندغم في لغز ..."(١) والغريب في الأمر أن جاك بيرك الذي طالما تشدق بكونه استأنس بمعظم التفاسير القرآنية القديمة والحديثة لم ينتبه لعلم مستقل بذاته يسمى "علم المناسبات" وهو يختص بإبراز وجوه المناسبة بين السور فيما بينها وكذلك بين الآيات في إطار السورة الواحدة، حيث اهتم كثير من العلماء والمفسرين بترابط الآيات وتناسقها وكيف أن الآية القرآنية تأخذ بأعناق الآيات السابقة واللاحقة بصورة تجعلها منسجمة بعضها ببعض ومتلائمة وغير متنافرة أو متناقضة كما يزعم بيرك، وقد أشار الإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هـ) في تفسيره -وقد رجع إليه بيرك كثيرا في تعليقاته- إلى كثير من مناسبات السور والآيات حتى عُد من أبرز المفسرين اعتناء واهتماماً بذكر تلك اللطائف والمناسبات(٢).

إن مثل هذه الشُّبَه التي أوردها بيرك والتي تعد قديمة قدم الاستشراق نفسه(٣) تسعى بوضوح إلى تأكيد أن القرآن إنتاج بشري وليس إلهيا، وبالتالي

---

(1)Le Coran p 714-715.

(٢)من أشهر مَنْ أبرز هذا العلم (علم المناسبات) بوضوح الإمام برهان الدين البقاعي (ت ٨٨٥هـ) في كتابه "نظم الدرر في تناسب الآي والسور" طبع في ٢٢ مجلدا، والإمام السيوطي (ت ٩١١هـ) في كتابه :"تناسق الدرر في تناسب السور " وغيرهما.

(٣)يعد تيودور نولدكه (ت ١٩٣٠م) أبرز من تعرض لهذا الأمر في كتابه " Geschichte des Qorans (باللغة الألمانية)وكذا في رسالة صغيرة سماها "أسلوب القرآن "تقع في ٤٠ صفحة".وقد فصَّل المستشرق الفرنسي رجيس بلاشير R.blachère (ت ١٩٧٣م) الحديث في هذا الموضوع في كتابه :مدخل إلى القرآن الكريم Introduction au Coran .

فإن ترتيب سوره وآياته يخضع لاعتبارات تفاعل -واضعه وهو الشخصية المحمدية- مع الأحداث والوقائع التي كانت تتأثر بها تلك الشخصية.

والذي يمكن قوله بهذا الصدد -وباختصار- هو أنه من الصعب جداً على مستشرق أعجمي أن يستوعب ملامح الإعجاز القرآني في تلك العلاقة الدقيقة للآيات بعضها ببعض، وهذه العلاقة تبرز لنا نظما معجزا لا يتأتى لبشر أن يأتي به، ولعل ما أشار إليه بدر الدين الزركشي (ت ٧٩٤هـ) في قوله: "لترتيب وضع السور في المصحف أسباب تُطلِع على أنه توقيفي صادر عن حكيم، أحدها: بحسب الحروف كما في الحواميم، وثانيها: موافقة أول السورة لآخر ما قبلها كآخر الحمد في المعنى وأول البقرة.."[١] ويبدو سعي بيرك الحثيث إلى نسج خيوط التشكيك والتشويش على القارئ الغربي بوضوح وجلاء عندما يقول:" إن العرض القرآني للقضايا ينتقل بدون تمهيد من موضوع لآخر ليعود إلى الأول أو إلى قضايا أخرى، وهذا الأمر الذي تُضَخم منه الترجمات الغربية يخلق نوعا من الاختلاف والتنوع يحسبه القارئ الأعجمي من قبيل المتناقض"[٢] .

ومن أجل تسويغ ما يسعى إلى تأكيده يحاول بيرك أن يدعم نظريته الهادفة إلى اكتشاف الخلل والتناقض في القرآن الكريم بسَوق المؤثرات والعوامل الظرفية والبيئية والاجتماعية التي من شأنها أن تكون قد أسهمت في ذلك. ولاشك أن مجرد الحديث عن وجود مثل هذه المؤثرات والظروف المزعومة كفيل بأن يخلق لدى القارئ الغربي إحساساً وشعوراً كبيرين بأن هذا القرآن من إنتاج

(١)الزركشي :البرهان في علوم القرآن تحقيق محمد ابو الفضل، طبعة عيسى البابي ١/٢٦٠.

(2)Le Coran p 722.

بشري أثرت فيه- بشكل طبيعي - عوامل عدة. ويمكن أن نوجز أبرز هذه المؤثرات في النقاط التالية :

تأثير الفكر اليوناني القديم:

سواء عن طريق أصداء فلاسفة الماضي أو أصداء القانون المدني وتقنين الكنيسة السورية، يقول بيرك :" لقد أخذ الإسلام على عاتقه جزءاً من الميراث الجاهلي ثم تَحَمَّل طرفاً من ميراث اليونان بعد أن أضفى على كل منهما تعديلات استعلائية صارمة"[١] ولقد حاول بيرك في أكثر من موضع عقد نوع من التوازي بين الفكر اليوناني والإسلام، واستنتاج نوع من اللقاء بين الهيلينية القديمة وحكمة الإسلام.

-تأثير الشعر الجاهلي:

يقول بعدما تحدث عن دعوى التناقض الحاصل في القرآن والذي يمكن للقارئ العربي ملاحظته بسهولة: (في الواقع إن هذا الملمح كان ملاحظا قبل ذلك في الشعر العربي القديم....) ثم يدعو بيرك إلى المقارنة بين قصيدة للشاعر الجاهلي لبيد بن أبي ربيعة وسورة من القرآن[٢].

-تأثير مصادر متنوعة ومنها الإنجيل:

وهو ما سماه بيرك عدوى مصادر مختلفة أثرت في القرآن وبخاصة في مجال القصص القرآني[٣].

---

(1)Le Coran : p 723-792

(2)Opcit :p 735.

(3)Opcit ; p 722.

ومما اهتم به جاك بيرك في مقدمته مسألة القراءات القرآنية، وقد بدا تطفُّل المستشرق الفرنسي على هذا العلم الجليل واضحا عندما أبدى جهلا تاما بحقيقة " القراءات القرآنية" فخلط بينها وبين الأحرف السبعة تارة وبين القراءة القرآنية والترتيل القرآني تارة أخرى، حيث أخذ يخبط خبط عشواء بما لا يدع مجالا للشك في أن الرجل لم يفكر بتاتاً في الرجوع إلى الكتب المتخصصة في هذا الميدان من أجل استيعاب أصول وقواعد علم القراءات القرآنية؛ لحل الإشكالات التي يثيرها المترجم الذي يوضح للقارئ طبيعة الإشكالات التي يضعها أمام مترجم القرآن.

لقد تحدث بيرك عن القراءات ضمن المبحث الثاني من مقدمته، ويبدو من الصفحة الأولى من المبحث جهل الرجل المطبق بهذا العلم، فهو عندما أراد أن يحيل القارئ على مصدر يفيده في معرفة المهم من علم القراءات القرآنية لم يجد أفضل من الإحالة على كتاب هشام جعيط التونسي" الفتنة الكبرى" الذي تعرض لحركة القُراء التي برزت في العصر الأموي المبكر[1]، وليس ثمة علاقة بينها وبين موضوع القراء السبعة المقصودين في كلام بيرك، فهل هو حقيقة جهل منه بمصادر القراءات أو هو محاولة ماكرة للتمويه على القارئ حتى لا يعرف حقيقة هذا العلم الذي لا تشوبه شائبة ولا يعتريه أي خلل أو اضطراب كما حاول بيرك إيهام القارئ الغربي بذلك؟

(1)Hicham Jait; La grande discorde Paris 1989.

وحركة القراء هذه والتي تحدث عنها جعيط في كتابه كانت موضوع أطروحة الدكتور رضوان السيد الأستاذ بالجامعة اللبنانية وقد ناقشها بالجامعة الألمانية وهي تحمل عنوان "ثورة ابن الأشعث والقراء"

R.Seyed: Die Revolte des Ibn Al’AST und die Koran leser - Freiburg 1977.

والذي يظهر من كلام بيرك تحت عنوان :" تساؤلات استباقية " أنه لم يع جيداً الفرق بين القراءة والترتيل، فالقراءات القرآنية التي هي علم قائم بذاته يسميه فن القراءات، وعندما يريد أن يبسط القول فيه يستشهد بأحاديث وروايات تتحدث عن ترتيل القرآن وهي الروايات التي يرى أن اختلافها وعدم دقتها تثير نوعاً من التشويش[١].

وهكذا يتبين أن جاك بيرك قد أساء فهم القراءات وأضل بذلك قراء مقدمته الذين لا يمكن إلا أن يستنتجوا من كلام المترجم أفكاراً مشوشة ومثيرة للبلبلة، وهو ما يبدو أنه كان غرض بيرك.

وعندما انتقل جاك بيرك للحديث عن مدى استيعاب القرآن الكريم للأحكام التشريعية أو ما يسميه القوانين أراد أن يبرز للقارئ كيف أن مجموع الفقه الإسلامي ليس إلا تراكمات قضائية لا صلة لها بالقرآن: "إن أقل ما يمكن أن يقال هو أن القرآن لا يتضمن أية قوانين بالمعنى المفهوم لا في العبارات ولا في روحها ... إن القوانين أو الإصلاح القانوني الذي أجراه جوستنيان قد انتقل بفضل التجار المكيين، وإن القانون الروماني كان يدرس في بيروت وأنطاكية وكان معروفا في المنطقة، وإنه من المستبعد أن لا يكون العرب قد تلقوا أصداءه العديدة سواء على مستوى القانون المدني أو تنظيمات الكنيسة الشامية"[٢].

هكذا إذن يحاول بيرك أن يجرد القرآن الكريم من أن يكون مصدراً للأحكام الشرعية وكأن الفقهاء المسلمين أخذوا قواعد الفقه الإسلامي من

(1)Le Coran : p 733

(2)Le Coran , pp 764-765.

القانون الروماني عن طريق المدارس المنتشرة في بيروت وأنطاكية والشام بصفة عامة ثم أضافوا إليه اجتهاداتهم مما عُدَّ تراكمات قانونية لا صلة لها بالقرآن الكريم.

ولا يخفى أن هذا الادعاء بكون الفقه الإسلامي قد أخذ عن القانون الروماني يعد شبهة قديمة طالما رددها المستشرقون قديما ونفخ فيها على وجه الخصوص كل من كولدزيهر (ت١٩٢١م) وجوزيف شاخت (ت١٩٥٩م) اللذين ذهبا[١] إلى أن فقهاء المسلمين قد تعرفوا بصورة واسعة على آراء فقهاء مدارس القانون الروماني. واليقين الذي لا شك فيه أن هذه الدعوى تجافي الحقيقة، فالواقع أن هناك اختلافاً كلياً وجزئياً بين الشريعة الإسلامية والقانون الروماني. ثم إن المدارس الرومانية المشار إليها قد ألغيت في ١٦ ديسمبر ٥٣٣م أما مدرسة بيروت فقد اندثرت قبل الفتح الإسلامي بثلاثة أرباع القرن.

ويقول الدكتور السنهوري رحمه الله: "لم تسلك الشريعة الإسلامية في نموها الطريق الذي سلكه الفقه الروماني، فإن هذا القانون بدأ عادات ونما وازدهر عن طريق الدعوى والإجراءات الشكلية، أما الشريعة الإسلامية فقد بدأت كتابا منزلا ووحيا من عند الله ونمت وازدهرت عن طريق القياس المنطقي والأحكام الموضوعية" [٢]، وإذا كان الأمر كذلك فإن الفقه الإسلامي لا يمكنه أن يستمد قوانينه وقواعده إلا من القرآن الكريم وأحكامه من خلال توظيف قواعد أصول الفقه ومبادئه. ويواصل بيرك تهجمه على الأحكام الشرعية الممثلة

---

(١)-انظر كتابيهما : العقيدة والشريعة في الإسلام لجولدزيهر ص ٣٤-٣٥ (الترجمة الفرنسية باريس ١٩٥٨.وكتاب شاخت : Introduction au droit musulman (trad KýEMP et Aturki p 65).ýý

(٢)السنهوري : أصول القانون ص ١١٣.

للفقه الإسلامي منتقدا غموض تعبير الأحكام-على حد زعمه- "مما يسمح للمفسرين القدامى بحريات من التصرف المقبولة من مذاهب أخرى" (1).

هكذا يلقي بيرك الكلام على عواهنه من غير دليل أو برهان، وإذا كان قد رجع إلى كثير من التفاسير القرآنية للاستئناس بها في ترجمة معاني القرآن الكريم -كما ذكر في كثير من المناسبات- فهو يعلم جيدا أن المفسرين قد عقدوا مباحث مطولة لاستعراض الأحكام الفقهية انطلاقا من الآيات القرآنية، ويكفي الرجوع إلى كتب الشافعي (ت٢٠٤هـ) والقرطبي (ت٦٧١هـ) وابن العربي (ت٥٤٤هـ) والجصاص (ت٣٧٠هـ) وغيرهم وكلها تحمل اسم "أحكام القرآن" وتقع في مجلدات عديدة ليتم التأكد من مدى سعة مجال الأحكام الشرعية المنبثقة من الآيات القرآنية والمرتبطة بكل مجالات الحياة المدنية والجنائية والقضائية وغيرها. وإن جاك بيرك الذي ولد بالجزائر وعاش بين جبال الأطلس بالمغرب كان على اطلاع واسع بمدى تأثير أحكام القرآن وتشريعاته في حياة الناس والمجتمع الإسلامي وبخاصة في مجال القضاء الشرعي وقانون الأحوال الشخصية على وجه الخصوص. وكما أكدنا ذلك في البداية فليس غرضنا هنا الرد على ما ادعاه جاك بيرك في مقدمته من مزاعم وشبهات بقدر ما نريد الاقتصار على إيراد شذرات من كلامه المرتبط بالقرآن الكريم لاطلاع القارئ على حقيقة موقفه من كتاب الله تعالى بعيدا عن تلك المواقف المتأرجحة التي كان يعبر بها لوسائل الإعلام المختلفة، حيث تبدو تلك المواقف إيجابية إذا تعلق الأمر بالإعلام العربي، في حين تبدو سلبيتها واضحة عندما

(1)Le Coran : p 765.

يتوجه بيرك بالحديث إلى وسائل الإعلام الغربية، وأمام هذا الواقع المتناقض لا يسعنا إلا أن نؤكد مرة أخرى أن ما عبر عنه بيرك في مقدمة ترجمته يعد المعيار الحقيقي لطبيعة مواقف الرجل من القرآن الكريم الذي أراد ترجمة معانيه والإسلام بصفة عامة. وهو ما يتأكد بوضوح من خلال المنهج الخاطئ الذي سلكه المترجم في ترجمته لمعاني القرآن الكريم والذي سنبين معالمه وخطوطه العريضة من خلال المباحث التالية المتضمنة لنماذج مختلفة تؤكد انحراف طريقة بيرك في ترجمة كثير من الألفاظ والمعاني القرآنية فضلاً عن كثير من المحاولات المغرضة لتشويه صورة القرآن وحقائقه الناصعة.

الملاحظات التفصيلية على مضامين الترجمة

أولاً: حذف أجزاء وزيادة أخرى في النص القرآني

إن المتتبع لترجمة جاك بيرك مقارنا إياها بالنص القرآني الكريم سرعان ما يلاحظ إغفال المترجم لنقل أجزاء من الآيات القرآنية إلى اللغة الفرنسية، وهذا أمر خطير يترتب عليه تحريف المعاني والدلالات التي تدل عليها الآيات القرآنية في تناسقها وترابطها، وإذا كان لا يجوز في ترجمة النصوص –كيفما كانت أدبية أو علمية– إهمال أي جزء أو لفظة من النص الأصلي على تقدير أنه خيانة للنص وتحريف للمعنى، فكيف الأمر بكلام الله تعالى المقدس؟، وإذا كان جاك بيرك قد صرح في إحدى الحوارات التي أجريت معه عشية صدور الترجمة أنه حرص على إعادة قراءتها وتنقيحها ثلاث مرات فإن حذف أجزاء من النص القرآني لا يمكن أن يفسر بأنه سهو أوزلل من المترجم، وهذا الحذف قد يتعلق بلفظة واحدة وهو الغالب وقد يمتد فيشمل جملا كاملة.

١ –إسقاط جمل

من أغرب ما وقع فيه جاك بيرك في مجال الحذف من النص القرآني ما جاء في ترجمته للآية (١١٠) من سورة المائدة حيث أهمل ترجمة خمس كلمات هي : ﴿فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِيۖ﴾ ، ولما كان الجزء غير المترجَم مسبوقا بلفظة ﴿ بِإِذْنِيۖ﴾ فإن الذي يظهر أن جاك بيرك لما أراد أن يترجم من بعد﴿ بِإِذْنِيۖ﴾ الأولى وقع بصره على قوله ﴿بِإِذْنِيۖ﴾ الثانية فأهمل بذلك الكلمات الخمس الواقعة بينهما، وهذا دليل على قلة الاكتراث والمبالاة في

إبداء الحرص واليقظة المطلوبين أثناء ترجمة معاني القرآن الكريم، ولو كان المترجم قد راجع ونقح ترجمته كما زعم لما وقع في مثل هذا الإهمال والحذف.

* سقط قوله تعالى﴿ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ من الآية (٩٧) من سورة الإسراء ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ﴾.

*سقط قوله تعالى﴿ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾من الآية (٣٤) من سورة غافر ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾.

*سقط قوله تعالى ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾ من الآية (٧) من سورة الحجرات﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾﴾.

٢-<u>إسقاط كلمات:</u> وهي كثيرة جداً :

* تم إسقاط لفظة ﴿" ٱلسَّٰجِدُونَ "﴾من قوله تعالى:﴿ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلۡعَٰبِدُونَ ٱلۡحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلۡأٓمِرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ ﴾ (التوبة:١١٢).

* تم حذف كلمة ﴿" ٱجۡتَبَىٰهُ "﴾ من قوله تعالى ﴿شَاكِرٗا لِّأَنۡعُمِهِۚ ٱجۡتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٢١﴾ (النحل ١٢١).

* تم إسقاط لفظة ﴿" رُسُلِيۖ "﴾من قوله تعالى ﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَمَا بَلَغُواْ مِعۡشَارَ مَآ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ فَكَذَّبُواْ رُسُلِيۖ فَكَيۡفَ كَانَ نَكِيرِ ٤٥﴾ (سبأ ٤٥).

ومثل هذا في سورة "ق" الآية (١٤)، حيث تم حذف لفظة ﴿"ٱلرُّسُلَ "﴾ من قوله تعالى :﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡأَيۡكَةِ وَقَوۡمُ تُبَّعٖۚ كُلّٞ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ١٤﴾.

وإذا كان جاك بيرك قد قام بحذف كثير من الكلمات والجمل أثناء الترجمة فإنه قد عمد أيضا في بعض الأحيان إلى زيادة كلمات وعبارات ليست في النص القرآني.

من ذلك مثلاً: إضافته لعبارة ﴿فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ عند ترجمته لقوله تعالى ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ١٠٩﴾ (الصافات :١٠٩) حيث قال: Salut sur Abraham au sein des univers بإضافة ﴿ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ وهذه الإضافة إنما توجد أصلا في الآية (٧٩) من السورة نفسها عند قوله تعالى ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ

نُوحٖ فِي ٱلۡعَٰلَمِينَ﴿٧٩﴾. وفي السورة نفسها أيضاً أضاف عبارة (من الجاهلين) في ترجمة قوله تعالى ﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ (الصافات:١٤٧). كما أضاف لفظة (أول) عند ترجمة قوله تعالى ﴿قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾﴾ (آل عمران:٨١). حيث جاءت الترجمة كما يلي :وأنا معكم أول الشاهدين. وفي سورة آل عمران الآية (١٠٦) ترجم قوله تعالى ﴿أَكَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡ﴾ بإضافة لفظة (بي) فجاء المعنى:**أكفرتم بي بعد إيمانكم**.

ثانياً:التحريف المعجمي

المقصود بالتحريف المعجمي إطلاق معان غريبة وبعيدة عن المدلولات القرآنية المعروفة، ومهما حاول جاك بيرك تسويغ تلك المعاني المستهدفة فإن المتخصص في التفسير القرآني لا يمكن أن يستسيغها في مجال الترجمة لأن روح المعاني القرآنية المنشودة تفتقد أثناء الترجمة وبالتالي يختل المعنى وينعدم المطلوب والمقصود من نقل كلام الله تعالى إلى لغة أجنبية.

١-لفظة الأمي

مما لاشك فيه أن جل المستشرقين لا يؤمنون بأمية نبينا عليه الصلاة والسلام، وهم يرون أنه لم يكن جاهلا بالقراءة والكتابة محاولين تدعيم رأيهم بأدلة واهية، وذلك من أجل الخلوص إلى نتيجة مفادها أنه صلى الله عليه وسلم قد استفاد من التوراة والإنجيل اللذين كانا نِعم العون له في نسج تعاليم القرآن الكريم.ولا غرابة في ذلك، فمسألة كتابة الرسول صلى الله عليه وسلم

وقراءته تعد نقطة جوهرية في الإيمان بالإسلام، إذ لو أن مستشرقا قال بأمية الرسول عليه السلام ونفى القراءة والكتابة عنه وأنه كما وصفه القرآن لاستوجب ذلك منه منطقيا الإيمان بالإسلام لأنه عندئذ يكون القرآن من مصدر إلهي غير بشري.

وإذا كانت خلفيات معظم المستشرقين الدينية لا تسمح لهم بالإقرار بأمية الرسول عليه الصلاة والسلام مما يحاولون تأكيده كلما أرخوا للسيرة النبوية أو تحدثوا عن مصدر القرآن الكريم، فإن الأمانة العلمية تفرض عليهم وعلى غيرهم أن يترجموا لفظة " الأمي" الواردة في القرآن كما يدل عليه المعنى المراد والذي يعونه جيدا بطبيعة الحال[1].

ولنقف عند ترجمة جاك بيرك للفظة "الأمي" من قوله تعالى﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ (الأعراف ١٥٧) حيث ترجمها بقوله :

" Le prophète maternel qu il trouvent chez eux inscrit.. "

والترجمة نفسها نجدها في الآية التالية ﴿فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ﴾ (الأعراف:١٥٨). وعند مراجعتنا لمختلف الترجمات القرآنية التي وضعها المستشرقون والمسلمون على السواء وجدناها تترجم اللفظة إما بلفظة : illetré :أي الذي لا يقرأ ولا يكتب وهي الترجمة

(١)عن تلك الخلفيات والرد على مواقف المستشرقين من أمية الرسول صلى الله عليه وسلم انظر كتاب المستشرق الفرنسي اتيين دينيه E, Dinet الذي اسلم وحمَل اسم ناصر الدين دينيه في كتابه :"الشرق في نظر الغرب" L 'orient vu par l 'occident - paris geuthner 1921 p74

الصحيحة وقد اهتدى إليها حمزة بوبكر وغيره، أو gentil كما عند حميد الله وريجيس بلاشير نسبة إلى الأميين الوثنيين الذين لم يصدقوا رسولا أرسله الله ولا كتابا أنزله الله، وقد أورد ابن جرير الطبري هذا الوجه في تفسيره(١) عند تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ ﴾ (البقرة:٧٨)، لكنه قبل ذلك أكد معنى الجهل بالقراءة والكتابة عندما قال: قال أبو جعفر: يعني الذين لا يكتبون ولا يقرؤون ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم" إنا أمة أمية لا نكتب ولا نحسب"(٢). أما ما ذهب إليه جاك بيرك من ترجمته للفظة "أمي" بـ maternel نسبة إلى الأم mère فهي ترجمة واهية لا تحقق المراد من نقل المعنى الأصلي للفظة، بل إنها تثير الالتباس والاضطراب لدى القارئ، إذ ما الذي يمكن استيعابه وفهمه من جملة le prophéte maternel، ومهما ذكر بعض المفسرين من أنه إنما قيل للأمي أمي نسبة له بأنه لا يكتب إلى أمه لأن الكتاب كان في الرجال دون النساء، فنسب من لا يكتب ولا يخط من الرجال إلى أمه في جهله بالكتابة دون أبيه"(٣). فإن ذلك لا يعدو أن يكون وجها تفسيرياً للفظة يعود بها إلى أصل وضعها، لكنها وفق ذلك المعنى لا يمكنها أن تؤدي المعنى المراد في السياق القرآني، وبالتالي فإنه لا يجوز أن تترجم على ذلك النحو.

وما لنا نذهب بعيدا وهذا كتاب الله تعالى بعد أن وصف محمدا عليه السلام بأنه أمي في سورة الأعراف فسَّر معنى هذا الوصف في سورة العنكبوت

---

(١)تفسير الطبري ٥٢٧/١.

(٢)صحيح البخاري كتاب الصوم باب ١٣.

(٣)تفسير الطبري ٥٢٨/١.

التي هي مكية أيضاً فقال:﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾(العنكبوت:٤٨). وهذه السورة نزلت بعد الأعراف بوقت طويل وهي من آخر السور المكية نزولا بل إنه لم ينزل بعدها بمكة إلا سورة واحدة.ويذكرنا صنيع جاك بيرك هذا بما ترجم به المستشرق الفرنسي أندريه شوراكي لفظة الرحمن الرحيم بـ: le matriciant , le matriciel نسبة إلى لفظة: matrice التي تعني رحم المرأة، وقد أخذ ذلك من إحدى اشتقاقات لفظة الرحمة التي ذكرها المفسرون والتي لا يمكن أن يضعها مقابلاً للرحمن الرحيم. إلا من استهدف تحريف القرآن والتشويش على قرائه باللغة الفرنسية[1].

إن ترجمة بيرك للأمي بـ: maternel يلائم هدف المترجم المتمثل في إضفاء معنى مثير للحرج بالنسبة إليه وهو النصراني، ولكن بالنسبة إلينا نحن المسلمين فإن اللفظة تمثل حقيقة دينية بالغة الأهمية في سياق العقيدة الإسلامية الصحيحة، إنها من آيات ودلائل نبوته عليه الصلاة والسلام، فهو أمي أتى بكتاب يعجز الإنس والجن مجتمعين أن يأتوا بسورة من مثله.

وإذا كان بيرك قد سعى جاهدا إلى إخفاء معنى الأمية من آيتي الأعراف، فإن المثير للغرابة أنه عندما ترجم قوله تعالى: ﴿ وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ﴾ (البقرة:٧٨) ترجم لفظة " أميون" بـ: incultes [2]

---

(1)A, chouraqui : L'appel p 29.

(٢)وهي اللفظة نفسها التي وظفها في ترجمة قوله تعالى:﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ﴾ ﴾ (الجمعة:٢)

التي تعني " غير المثقفين" من لفظة الثقافة Culture، وهذا المعنى يعد أقرب إلى الجهل بالقراءة والكتابة لكن المترجم الذي استعمل هذا المعنى في سياق الحديث عن اليهود الذين لا يعلمون الكتاب إلا أماني أبى في سياق الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم الأمي إلا أن يمعن في الإغراب ويستعمل في الترجمة مرادفا بعيدا كل البعد عن المعنى المراد، وهو يعلم جيدا أن " الأميين" في سورة البقرة هي جمع للأمي في سورة الأعراف. ونود بهذا الصدد الإشادة بعملية التصحيح التي قام بها الشيخ صبحي الصالح -رحمه الله- لترجمة المستشرقة الفرنسية دنيس ماصون للقرآن الكريم [(١)] حيث يلاحظ المطالع لهذه الترجمة أن لفظة الأمي في آيتي الأعراف قد مُحِيتا وكُتِب محلها بخط مطبعي مغاير Le prophéte qui ne sait ni lire ni écrire (النبي الذي لا يقرأ ولا يكتب)،وهي أفضل ترجمة تؤدي المعنى المنشود،وهو ما سوف يتحقق من مختلف الترجمات التي يسعى مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف إلى إنضاجها على أساس نقل "التفسير الميسر" الذي أصدره عام ١٤١٩هـ إلى مختلف اللغات العالمية، وهو التفسير الذي جاء فيه عند الآية (١٥٧) من الأعراف :"ويتبعون الرسول النبي الأمي الذي لا يقرأ ولا يكتب وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي يجدون صفته وأمره مكتوبين عندهم في التوراة والإنجيل"[(٢)] .

---

(1)- D. Masson : Essai d'interprétation du Coran inimitable , Revue par Sobhi EL - SALEH pp 218 - 219.

(٢)التفسير الميسر ، إعداد لجنة من العلماء ، طبع ونشر مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤١٩ ص ١٧٠.

٢-لفظة "الجهل" ومشتقاتها

تأتي لفظة "جهل" ضمن مشتقات كثيرة في القرآن الكريم منها (تجهلون) (يجهلون) (الجاهل) (الجاهلين) (جهولا) وغيرها. وقد ترجمها جاك بيرك في جميعها بلفظة: paien التي تعني وثني أو عابد الأصنام وقد يترجمها أحيانا بما يعني عدم المعرفة[1] وهي الترجمة الأقرب إلى الصواب، غير أن المثير للانتباه هو أن المترجم يكاد يعمم المعنى الأول في جميع الآيات[2]، فتنحرف بذلك معاني الآيات من معنى الجهل الدال على قلة المعرفة وعدم العلم إلى معنى الوثنية.

- ﴿ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴾ (الأعراف:١٣٨): " Décidément vous êtes un peuple de paiens

- إنكم قوم من الوثنيين-

- ﴿ وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴾ (الفرقان:٦٣) : Si des païens les interpellent ils disent "salut"

-وإذا خاطبهم الوثنيون قالوا سلاما-

ولاشك أن المتأمل اللبيب عندما يقارن بين ترجمة "الأميين" بـ gentils كما فعل معظم المترجمين ومنهم جاك بيرك في آل عمران (٢٠) وآل عمران (٧٥) وترجمة الجاهلين بـ païens يستطيع أن يربط بين السياقين: سياق الأميين بمعنى الوثنيين gentils وسياق الجاهلين بمعنى الوثنيين. وهذا يعد من جاك بيرك فهما

(١)كما في البقرة ٢٧٣ والأحزاب ٧٢ والنساء ١٧.

(٢)الأعراف ١٣٨ وهود ٢٩ والنمل ٥٥ والأحقاف ٢٣ والأنعام ١١١ وغيرها...

غير سديد، فماذا عسى القارئ أن يفهمه من الآيات التي تتحدث عن القوم الجاهلين الذين "يجهلون عظمة الله ولا يعلمون أن العبادة لا تنبغي إلا لله الواحد القهار" [(١)] عندما تترجم بالقوم الوثنيين؟

ويظهر أن جاك بيرك قد شذ شذوذا غريبا في توظيفه للفظة "الوثنيين" مقابلا للفظة " الجاهلين"، إذ لم يسبق إلى هذا الصنيع أحد من المستشرقين المعاصرين الذين اتفقوا جميعا على ترجمة لفظة "الجهل" بـL 'Ignorance.

٣-لفظة "الكفر":

أعرض جاك بيرك في ترجمته للفظة "الكفر" ومشتقاتها عن كل ما يقابلها في اللغة الفرنسية مما يفهمه عامة الناس من حقيقة اللفظة ومعناها الأصلي، وإذا كان حميد الله وماصون وحمزة بوبكر وغيرهم قد استعملوا الألفاظ التالية :

incrèduls - infidèles - mécréants مما يدل بوضوح على معنى الكافرين، فإن جاك بيرك أبى إلا أن يحرف معنى اللفظة في سياقها القرآني إلى ما يدل على الإنكار والنفي Dènègation (الذين كفروا-الكافرون= Les dénégateurs). ومن الواضح أن القارئ لهذه الترجمة كيفما كانت ثقافته لا يكاد يفهم منها سوى معنى النفي والإنكار فقوله تعالى:﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٦﴾﴾ (البقرة:٦) جاءت في ترجمة بيرك على الشكل التالي:

---

(١)التفسير الميسر ص ١٦٧ عند الآية ١٣٨ من الأعراف.

إن الذين نَفَوا (أنكروا) سواء عليهم... Quant a ceux qui dènient.

وقوله تعالى:﴿ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾﴾ (يوسف:٨٧)

ترجمها بقوله : Ne désespère de ce souffle que le peuple des dénégateurs

-إنه لا ييئس من روح الله إلا القوم النفاة (أو المنكرون)- نفاة ماذا أو منكرو ماذا؟ هذا ما لم تستطع ترجمة جاك بيرك أن تستوعبه، وبالتالي فإن القارئ لمثل هذه الترجمة لا يستطيع أن يفهم من معنى النفي والإنكار أولئك الذين جحدوا بالرسالة وكذبوا بالرسل. وفضلا عن كل هذا فإن استعمال فعل dénier يكون عادة في سياق الحديث عن الأشياء والأفكار وليس في حق الله تعالى، فلا يقال: dénier son seigneur نفى الرب وإنما كفر بالرب، ومهما حاول جاك بيرك أن يسوغ هذه الترجمة في التقديم الذي وضعه للترجمة[1] [معترفاً بالمقابل بأنه جازف بتقديمه لتعبير جديد] فإن ما ذهب إليه في هذا الشأن قد أنكره عليه بعض المستشرقين[2]أيضاً.

٤-لفظة الزكاة:

(١)مما جاء في تسويغه لاختياره أن من معاني الكفر معنى الإخفاء والمحو، وهذا الأمر وإن كان صحيحا على اعتبار أن اللغويين والمفسرين ذكروا أن كلمة "الكفر" من معانيها الستر وتغطية الشيء ومنه قيل للزراع كفار لأنهم يغطون الحب ويشهد له قوله تعالى:"كمثل غيث أعجب الكفار نباته" (الحديد ٢٠)، فإن نقل اللفظة إلى الفرنسية أو غيرها من اللغات بالمعنى نفسه كما ذهب إلى ذلك شوراكي في ترجمته عندما رجح لفظة المحو effacerمقابلا للفظة الكفر أو ما يقارب ذلك المعنى كما عند جاك بيرك عندما فضل فعل dènier= نفى، كل ذلك يجعل الترجمة تبدو غامضة ومبهمة وموغلة في التشويش وإحداث اللبس لدى القارئ.

(٢)انظر استغراب المستشرق الصحفي Yvon le Bastard لترجمة الكفر بـ dénégationفي عرضه للترجمة البيركية لدى صدورها في مجلة Arabies، عدد (ماي ١٩٩٠) ص ٧٧.

من المعلوم أن من معاني الزكاة النمو والزيادة كما أنه يراد بها التطهير، لكن هذه المعاني اللغوية لا يمكن عند إطلاقها -دون بيان أو توضيح أو ربط بالمدلول الرئيس للفظة- أن تؤدي المعنى المطلوب الذي هو ذلكم الحق الذي يجب في المال، كما أنها لا يمكن أن تدل على الفريضة المعلومة والركن الرابع من أركان الإسلام، لذلك فإن ترجمة لفظة الزكاة إلى اللغات الأجنبية بأي معنى من تلك المعاني تستبعد بصورة تامة المعنى الأساس المطلوب، وهذا ما لم يستوعبه جاك بيرك عندما لم يجد للزكاة من مرادف سوى معنى التطهير ترجم الزكاة بلفظة " purification "في جميع الآيات التي ورد فيها الإخبار أو الأمر بإيتاء الزكاة[1]، ويبدو أن المترجم قد أخذ معنى التطهير من قوله تعالى : ﴿ خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا ﴾.

Prélève sur leurs biens une aumône pour les en purifier, les épurer,

لأنه عندما ترجم قوله تعالى في الآية (٣١) من سورة مريم ﴿ وَأَوۡصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمۡتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ ﴾ قال: (IL) m 'a recommandé la prière ,le prélévement purificateur pour tant que je vivrai

وهي ترجمة لا تؤدي المطلوب وكأنه في هذه الآية أعطى للزكاة معنى الاقتطاع المطهِّر. ولاشك أن القارئ للآيات الآمرة بإيتاء الزكاة -وقد وردت بهذا السياق ثمانياً وعشرين مرة في القرآن الكريم -لن يفهم منها معنى الزكاة فريضة مقرونة بفريضة الصلاة في كل مرة.

---

(١)انظر على سبيل المثال : البقرة ٤٣-٨٣-١١٠-١٧٧-النساء ٧٧-١٦٢...الخ.

فإذا أخذنا الآية (٤٣) من سورة البقرة: ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ٤٣﴾ التي ترجمها المترجم بقوله:

Accomplissez la prière , acquittez la purification, inclinez vous avec ceux qui s'inclinent.

نجد أن المعنى ينقلب إلى ما يلي:

-أقيموا الصلاة وآتوا التطهير واركعوا مع الراكعين.

والتطهير كما هو واضح معنى لغوي لا يحمل حمولة فقهية وشرعية كما هو الشأن في لفظة الزكاة وبالتالي فإن ذهن القارئ -الغربي على وجه الخصوص- لن يجد في الترجمة ما يدل على الزكاة شعيرة إسلامية واجبة في مال مخصوص لطائفة مخصوصة في وقت مخصوص.

ومما يدل على تخبط المترجم في عدم الاهتداء إلى المرادف المناسب والمكافئ في لغة الفرنسيين للفظة الزكاة، أنه ترجمها مرة بكلمة pureté بدل purificationالتي تواترت في جميع أجزاء ترجمته، وذلك عند قوله تعالى:﴿وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ ...﴾ (مريم:٥٥) حيث ترجمها بقوله:

Il enjoignait aux siens la prière , le pureté.. ومعلوم أن لفظة pureté تدل على الصفاء والنقاء فأين معنى الزكاة من كل هذه المعاني؟.

وقبل أن ننهي الحديث عن لفظة الزكاة كما جاءت مترجمة في محاولة جاك بيرك لا بأس من الإشارة إلى خطأ وقع فيه الرجل عندما خلط بين الصدقة بمعنى الزكاة والصدقة بمعنى التطوع، وهذا أمر كان ينبغي أن يفطن إليه، وهو الذي طالما تشدق لمختلف وسائل الإعلام الغربية والعربية على السواء بكونه دائم الرجوع والاطلاع على شتى التفاسير القرآنية، وهو ما لم ينتبه له

معظم الذين ترجموا القرآن من المستشرقين، لكن جاك بيرك كان أكثر قدرة على التمييز بين صدقة الفرض وصدقة التطوع بحكم رجوعه واستئناسه المتواصل بالتفاسير القرآنية كما يقول.إلا أنه انساق-في غفلة من الأمر-مع لفظة الصدقة التي تدل في السياق القرآني على الزكاة المفروضة تارة وصدقات التطوع تارة أخرى.وهذا ما تنبه له محمد حميد الله في ترجمته[1] عندما ترجم لفظة الصدقات في الآية (٢٧١) من سورة البقرة ﴿ إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِيَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ ﴾ ، بلفظة les aumones في حين ترجمها في آية التوبة (٦٠) ﴿ ۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ ...﴾ وفي الآية (١٠٣) من السورة نفسها ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا.. ﴾بما يدل على الزكاة المفروضة حتى إنه قدَّم في ترجمة الآية الأخيرة مرادفا يدل على الضريبة تمييزا لها عن صدقة التطوع حيث جاء في ترجمته :

"Prends sur leurs biens un impot par quoi tu les purifies et les purges".

٥-لفظة المسجد:

لا يجادل أحد في أن لفظة "المسجد" يقابلها في اللغة الفرنسية كلمة "Mosquee" وهي الكلمة اللاتينية التي يشترك أصلها بين كثير من اللغات الأوروبية المنحدرة عن اللاتينية مثل mosque في الإنجليزية و Moschee في

---

(١)نشير أيضا إلى أن "التفسير الميسر" المزمع ترجمته إلى مختلف اللغات كان أكثر دقة وإصابة للمراد والمقصود حيث جاء في تفسير الآية ٦٠ من التوبة "إنما الصدقات للفقراء ..." "إنما تعطى الزكوات الواجبة للمحتاجين الذين لا يملكون شيئا وللمساكين الذين..."التفسير الميسر ص ١٩٦.

الألمانيـة و mezquita [1] في الإسبانية إلا أن جـاك بـيرك آثـر أن يـترجم لفظـة "المسـجد" بكلمة Sanctuaire وقد يترجمها أحيانا بكلمة Oratoire ومن المعلوم أن كلمة Sanctuaire تعني المعبد الكنسي وقد يعني الجزء من الكنيسة حول المـذبح الـذي تـتم فيـه المراسـيم الطقوسـية.أما كلمـة Oratoireفتعـني المصـلى في كنيسة صغيرة[2]. ولا شك أن قارئ الترجمة إذا كان مسلماً فإنه لن يفهم معنى المسجد مكاناً لإقامة الصلوات، من تلك الترجمات الغريبة أما إذا كان القارئ غـير مسـلم فإنـه لـن يفهـم مـن اللفظتـين الفرنسـيتين سـوى مـا يوافـق النظـرة النصرانية إلى خلوة الرهبان في أديرتهم وكنائسهم. وهكذا يمكن القول بأنه كان ثمة تأثير قوي لثقافة جاك بيرك الدينية النصرانية في ترجمته للفظة"مسجد" إلى اللغة الفرنسية.

والأدهى من ذلك ترجمة الرجل للمسجد الحرام تارة بعبارة Sanctuaire consacré[3] وتارة بعبارة Oratoire consacré [4] بل إنه يتردد أحياناً في تغيير لفظة Consacré إلى لفظة [5] sacré :مقدس (البيت المقدس). وهنا نؤكد مرة أخرى أن جـاك بـيرك لا يلتـزم في الترجمـة بالمقابـل أو المكـافئ الواحـد للفظـة القرآنية، مما يكون مدعاة للالتباس والتشويش على القارئ [6].

---

(١)مقتبسة من مسجد نتيجة التأثير البالغ للثقافة الأندلسية الإسلامية في الثقافة الإسبانية..

(٢)انظر قاموس المنهل عند اللفظتين :Sanctuaire - oratoire.

(٣)انظر على سبيل المثال (البقرة ١٤٤- المائدة ٢٨- الأنفال ٣٤ وغيرها.

(٤)انظر على سبيل المثال الآيات : (التوبة ٧-الإسراء١-الحج ٢٥- الفتح ٢٥-٢٧...وغيرها.

(٥)انظر على سبيل المثال (المائدة٢).

(٦)نظر -فيما يأتي- مبحث :"عدم الالتزام بترجمة موحدة للفظة القرآنية".

إن ما هو مؤكد أن جاك بيرك كان يعلم في قرارة نفسه أن اللفظة المناسبة في ترجمة المسجد هي mosquée لكنه أراد أن يصبغ الترجمة التي رجحها بصبغة كنسية محضة لكي يُفقِد لفظة "المسجد" -وهو المصطلح الإسلامي الذي يدل على خصوصية وتميز عن باقي أماكن العبادة في الديانات الأخرى- حمولته الدينية المتفردة وطابعه الإسلامي المتميز،ولعل أكبر دليل على ذلك ما أورده في ترجمة قوله تعالى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾(الحج ٤٠)حيث اضطر لترجمة " المساجد "بكلمة mosquées لكي يضعها مقابلا لكنائس النصارى وبيع اليهود. فكيف أمكن للمترجم إذن أن يتفطن للفظة"mosquées التي هي المقابل الصحيح للفظة "المساجد" في هذه الآية فقط دون غيرها من الآيات وعددها سبعة وعشرون موضعاً؟!

٦-لفظة الأرحام:

لاشك أن مفهوم "صلة الأرحام" في الإسلام يعد خصيصة من خصائص ديننا الحنيف الذي يدعو إلى تماسك الأسرة الكبيرة والصغيرة ويهدف إلى توطيد وترسيخ أواصر القربى بين الأقارب الذين يجمع بينهم دم واحد.وإذا كان الأمر كذلك فلا ريب أن ترجمة هذا المفهوم بما يَفي بالمراد والمقصود يعدُّ أمراً صعبا إلى حد ما، بيد أنه مهما كان هناك تفاوت واختلاف بين المترجمين في إعطاء مقابل قريب للمعنى الأصلي، فإنه من غير المقبول أن يؤتى بلفظة matrices (رحم المرأة) مقابلاً للفظة الأرحام، وهو ما فعله جاك

بيرك عندما ترجم الآية الأولى من سورة النساء"﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ ﴾ بقوله:

Prémunissez-vous envers Dieu , de qui vous vous rèclamez dans votre sollicitation et aussi envers les matrices .

فجاء المعنى كالتالي : اتقوا الله الذي تستندون إليه في توسلكم ، وأيضا تجاه أرحام النساء (جمع رحم المرأة = matrice).

وهكذا تنقلب "صلة القرابة " إلى معنى "رحم المرأة" ويحاول المترجم تسويغ هذه المحاولة اليائسة في الترجمة قائلا:"إنها إشارة ممكنة للعبارة الشعبية القائلة:"ناشدتك الله والرحم" وتعني أناشدك باسم الله والقرابات الأمومية وتعني حرفيا "الرحم" matrice..." [١].

وتذكرنا هذه الترجمة الخاطئة بما ذهب إليه مواطن فرنسي آخر نشر ترجمة لمعاني القرآن الكريم كانت من أخبث المحاولات التي عرفها تاريخ ترجمة معاني القرآن الكريم ، فقد ترجم أندريه شوراكي Andre chouraqui وهو يهودي متأثر بثقافته العبرية لفظتي "الرحمن الرحيم" بكلمتي Le matriciant le matriciel حيث استعمل لفظة "رحم المرأة matrice"لكي يخرج منها صيغتين من صيغ المبالغة[٢] .

والقارئ للترجمة مهما كانت ثقافته جيدة فإنه عند اطلاعه على هاتين اللفظتين لا يستطيع بحال تبين معنييهما إلا إذا رجع إلى كتب اللغة والتفسير لكي يكتشف أن من بين الأصول الاشتقاقية للفظة " الرحمن" اسم الرَّحِم ،

---

(1)J,B :Le Coran: 1/94.

(2)A , Chouraqui ; L 'Appel , p 29.

وهو ما جاء في الحديث القدسي :" قال الله تعالى: أنا الرحمن خلقت الرحم وشققت لها اسما من اسمي فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته" [(١)]. غير أنه إذا كان الحديث يشير إلى الرحم بمعنى القرابة بدليل السياق الأخير (صلة الأرحام) فإنه من غير المعقول أن تترجم لفظة "الأرحام" في الآية الأولى من النساء بما يدل على رحم المرأة، بل ينبغي فهم المعنى ومحاولة تقريبه إلى الآخر في لغته وثقافته، ولا شك أن المترجم كان يعلم جيدا أنه باختياره وترجيحه لهذه الترجمة الفاسدة كان يوغل في نسج الغموض والتشويش على القارئ؛ لأنه كان باستطاعته تقديم اللفظة المناسبة والملائمة، ولا سيما أنه اطلع على ترجمات زملائه السابقين الذين سعى كل منهم إلى محاولة تقريب المراد من اللفظة إلى قراء الفرنسية. [(٢)] وما لنا نذهب بعيدا وهاهو ذا جاك بيرك نفسه يترجم اللفظة نفسها في آية أخرى بما هو أقرب إلى تحقيق المقصود بعيدا عن لفظة "matrice" فقد ترجم قوله تعالى:﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾﴾ محمد٢٢) بقوله: ..mettiez en pièces vos liens de parenté ? أي وتقطعوا صلات القرابة. ويبدو أن المترجم قد تبين له استحالة وضع matrice مقابلا للفظة الأرحام في هذه الآية؛ لأن سياق الآية فيه معنى

---

(١)صحيح البخاري، كتاب الأدب برقم ٥٩٨٨، ومسند الإمام أحمد ٦٢/٦ (والحديث باللفظ المذكور إنما أخرجه أبو داود برقم ١٦٩٤، والترمذي برقم ١٩٠٨، وأما لفظ البخاري فهو "إن الرحم شجنة من الرحمن، فقال الله: من وصلك وصلته..." ولفظ أحمد نحوه).

(٢)لعل الترجمة الأقرب إلى تحقيق المراد ما وجدناه عند حمزة بوبكر الذي ترجم "الأرحام" في آية النساء بقوله: craignez (de rompre) les liens du sang (اتقوا قطع روابط الدم) . وهو فضلا عن إشارته لروابط الدم كأبرز معنى تدل عليه لفظة "الأرحام" وضع بين قوسين كلمة (قطع) وهو ما أشار إليه معظم المفسرين، إذ المراد من الآية : واحذروا أن تقطعوا أرحامكم (التفسير الميسر ص ٧٧).

التقطيع والتمزيق، فإذا دخل على أرحام النساء ذهب المعنى بعيدا وأضحى المدلول المترجم مستبشَعا ومستهجَناً. أما عند قوله تعالى: ﴿ وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ (الأنفال ٧٥) فقد ترجمها بيرك بقوله:

Quand aux parents par les femmes , ils ont priorité les uns sur les autres selon le livre de Dieu .

وهو ما يعني: "أما فيما يخص الأقارب من جهة النساء فلهم أولوية بعضهم على بعض وفقا لكتاب الله". وتأكيده للأقارب من جهة النساء فيه تحريف واضح لمعنى الآية التي تشير إلى أولي الأرحام بصفة عامة، وقد حاول المترجم إيهامنا بأن معظم المفسرين باستثناء ابن عطية قد ذهبوا إلى أن المراد "الأقارب من جهة النساء" وهذا كذب وبهتان، فبرجوعنا إلى كثير من التفاسير لم نجد أحداً منها يخص القرابة الرحمية في النساء فقط، فتفسير الطبري الذي أكد بيرك أنه كان مرجعه الأساس في الترجمة لم يشر إلى ذلك التخصيص من قريب أو بعيد حيث قال عند تأويل الآية: " والمتناسبون بالأرحام بعضهم أولى ببعض في الميراث إذا كانوا ممن قسم الله لهم منه نصيبا وحظا من الحليف والولي"(١) .

الواضح إذن أن جاك بيرك كثيراً ما كان يتعمد ترجيح المعاني المرجوحة والأصول اللغوية الغريبة، ويهمل المعاني المطلوبة والمدلولات الراجحة التي استقر عليها معظم المترجمين السابقين، إن إمعانه في الإغراب وشذوذه في تخير وإيجاد المرادفات في اللغة الفرنسية كل ذلك يجعلنا نشك في مدى نزاهته وموضوعيته في خوض غمار ترجمة معاني القرآن الكريم.

---

(١)تفسير الطبري ٧٤/٩ وراجع تفسير القرطبي ٥٨/٨ وتفسير ابن عطية ١٢٣/٨.

ثالثاً: قلب الحقائق القرآنية.

كثيرة هي السياقات القرآنية التي جاءت مترجمة عند بيرك على غير حقيقتها، قد يكون ذلك ناتجا أحيانا عن سوء فهم -وإن كنا نستبعد من عضو مجمع اللغة العربية أن لا يفهم التعبير القرآني كيفما كان نظمه وأسلوبه- وقد يكون ذلك ناتجا عن سوء نية، وبخاصة إذا علمنا المدة التي قضاها في الترجمة (أكثر من عشر سنوات) واعتماده على مختلف التفاسير القديمة منها والحديثة وإلمامه الواسع بقواعد اللغة العربية ثم تأكيده لنا عبر مختلف الحوارات التي أجريت معه بعد صدور الترجمة بأنه أعاد مراجعتها ثلاث مرات قبل دفعها للنشر.

أمام هذه المعطيات والحيثيات التي لم تُتَح لغيره من المستشرقين الذين أقدموا على ترجمة معاني القرآن الكريم لا يسعنا إلا القول بأن وقوع بيرك في أخطاء تتعلق بقلب المضامين والمعاني والحقائق القرآنية أمر خطير ينبغي التنبيه عليه والعمل على تسديده ومعالجته.

ولا يسعنا في هذا المقام سوى تقديم نماذج معينة تبرهن على تأكيد هذا الأمر.

أ- عند ترجمته لقوله تعالى ﴿ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾﴾ (البقرة:٢١٣). قال:

Mais Dieu avait guidé les croyants à diverger avec son autorisation sur tels points de la vérité.

وهذا يعني: "لكن الله هدى المؤمنين إلى الاختلاف بموافقته حول نقاط معينة من الحقيقة". ولا شك أن القارئ الفطن يدرك بسرعة أن المترجم قد قلب معنى الآية رأساً على عقب، مما نجم عنه تحريف فظيع وتشويه مريب. فبعد أن كانت الآية القرآنية تدل في أصلها على أن الله تعالى قد وفَّق المؤمنين بفضله لتمييز الحق من الباطل ومعرفة ما اختلفوا فيه، أصبحت تعني حسب الترجمة البيركية أن الله قد أرشد المؤمنين بإذنه إلى الاختلاف، ولو أن المترجم تمعن جيدا في جميع مقاطع الآية المذكورة لتبين له جوهر المقصود وروح المضمون القرآني المنشود [1] ، فالآية المستشهد بها اختتمت بقوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾ مما يعني أن الله لا يهدي إلى الاختلاف وإنما يهدي إلى الحق وإلى الصراط القويم، فقوله تعالى ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ﴾يسنده ويحققه ويؤكده المقطع الذي يليه﴿ وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ ٢١٣﴾.

ب- عند ترجمته لقوله تعالى﴿ وَءَاتَيۡنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبۡصِرَةٗ ﴾ (الإسراء ٥٩) قال :

N 'avons nous pas donné à Thamûd la chamelle pour les éclairer ?

ومعناه : ألم نُعطِ لثمود الناقة لتبصرهم؟

بادئ ذي بدء نلاحظ أن جاك بيرك قد جعل الجزء من الآية جملة استفهامية، وهو ما لا يوجد في النص القرآني، أما المعنى فقد انقلب كليا،ويبدو أن الرجل -الذي لا نعتقد أنه رجع إلى التفاسير في ترجمة هذه الآية- قد توهم

(١)انظر في تفسير الآية تفسير الطبري ٤٦٠/٢ وتفسير ابن كثير ٢٥٣/١.

فاعتقد أن لفظة (مبصرة) تعود على الناقة، وهذا ما يقع فيه كل من لا يتريث ويرجع إلى ما قاله المفسرون في هذا الصدد، حيث الإجماع على أن المراد من قوله تعالى﴿ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ أي آية دالة مضيئة نيِّرة على صدق صالح عليه السلام وعلى قدرة الله تعالى[1]. وهو ما يتأكد من قوله تعالى ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ ... ﴾ (الأعراف ٧٣)

من جهة أخرى يترجح أيضا أن يكون جاك بيرك قد انساق وراء ترجمة المستشرقة الفرنسية دنيس ماصون عندما ترجمت (مبصرة) بقولها: pour les rendre clair voyants أي: لتجعلهم (الناقة) مُبصِرين[2]. ولعل أفضل ترجمة للآية ما أورده الشيخ حمزة بوبكر في ترجمته [3] حيث جاء :

Nous avons fourni la chamelle aux thamudites comme (miracle) visible.

فقد وضع بوبكر لفظة (آية) المقدَّرة بين قوسين لكي يؤكد أن الإبصار إنما يعود على الآية : آية مبصرة : miracle visible

ج–عند ترجمته لقوله تعالى ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ ﴾ (آل عمران١٩٢).

قال: Notre Seigneur ,C est Toi qui fais entrer (le coupable) dans le feu ,tu l avais déjà mis à mal.

---

(١)انظر تفسير القرطبي ٩/ ٢٨١والتفسير الميسر ص ٢٨٨.

(2)D,Masson: Essai d'interprètation du Coran Inimitable p 373.

(3)Hamza Boubaker : Le Coran : traduction nouvelle et commantaire 1/572/

وهو ما معناه : "ربنا إنك أنت الذي تدخل (المجرم) في النار . لقد أخزيته". فاعتقد المترجِم أن "مَن" للموصول فاستعاض عنها بالذي، وتغير المعنى الأصلي للآية التي انشطرت بفعل سوء فهمه إلى جزأين، وتمَّ بذلك قلب المعنى الحقيقي للآية. ويبدو أن المترجم لم يفطن إلى جواب الشرط وفاء الشرط، ولو انتبه لذلك لما وقع في الخطأ، وهو خطأ فظيع قَلَب المقصد القرآني من الآية رأسا على عقب. ويمكن اقتراح الترجمة التالية:

Oui seigneur ! Qui conque tu fais entrer dans le feu , Tu le couvres d'ignominie .

رابعاً :أخطاء ناجمة عن سوء الفهم.

يتبين من خلال القراءة المتأنية لترجمة جاك بيرك لمعاني القرآن الكريم أنه كثيرا ما يسيء فهم بعض السياقات القرآنية فيقع في أخطاء واضحة تشوه المعاني والحقائق القرآنية، وهذه الأخطاء تدل بوضوح على عدم استيعاب المترجم لكثير من السياقات الأسلوبية والبلاغية المختلفة، وقد أسهم في وقوعه في ذلك أحيانا التسرع في الترجمة وعدم التأني والتأمل مليا في الأسلوب القرآني من حيث دقة التركيب ودقة الصياغة، وفيما يلي نماذج من تلك الأخطاء الناتجة عن سوء الفهم:

أ– قوله تعالى﴿ لَا تَقُولُواْ رَاعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٠٤﴾ (البقرة ١٠٤)، ترجمه جاك بيرك كما يلي:

" Vous qui croyez , ne dites pas raina (Aie pour nous des égards!) mais : nzurna (Aie de nous sollicitude ! "

Ecoutez ! tandis qu'aux dénégateurs un tourment douloureux

وهذا ما يعني : (لا تقولوا راعنا ولكن قولوا انظرنا . اسمعوا: للكافرين عذاب أليم) وبذلك يكون المترجم قد فصل "اسمعوا" عن "انظرنا" وكأنها غير

معطوفة عليها، وإنما بداية جُملة جديدة فيها أمر بالاستماع قصد الإخبار بأن للكافرين عذابا أليماً.

وهذا الخطأ يدل بجلاء على عدم فهم المترجم لمعنى الآية، ولو رجع إلى التفاسير أو إلى ترجمة محمد حميد الله أو ترجمة حمزة بوبكر [١] لتنبَّه لحقيقة الصورة البيانية للآية القرآنية ،وهنا مرة أخرى نضع احتمال انسياق بيرك وراء دنيس ماصون في ترجمتها حيث وقعت في الخطأ نفسه[٢].

ب- قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴿٦٩﴾﴾ (الأنبياء ٦٩) ترجمه جاك بيرك بقوله: Nous dimes : o feu, deviens du froid -Et salut sur Abraham .

وكأن معناه :"قلنا يا نار كوني بردا .وسلام على إبراهيم" حيث انشطرت الآية إلى جزأين تفصل بينهما نقطة، فالجزء الأول فيه أمر بأن تتحول النار إلى برد، وفي الجزء الثاني ينشأ معنى جديد ليس في الآية، إذ فيه كأن الله تعالى يوجه السلام إلى إبراهيم عليه السلام .

وهكذا اختلط الأمر على المترجم لما فاته الفهم الجيد للآية القرآنية التي تتضمن الأمر من الله تعالى للنار لكي تتحول إلى برد وسلام على إبراهيم حتى لا يناله الأذى ولا يصيبه المكروه.

ج- قوله تعالى ﴿ قَالَ سَلَٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (الذاريات٢٥) ترجمه جاك بيرك بقوله:

Il répondit : " Profond salut !" bien qu'ils parussent étrangers.

---

(١)وضع حمزة بوبكر تفسيرا للآية باللغة الفرنسية يبين بوضوح ارتباط لفظة اسمعوا بما قبلها . أين هو استئناس جاك بيرك بالترجمات الأخرى كما ذكر في الاستجوابات التي أجريت معه.

(٢)وقع في الخطأ نفسه أيضاً أندريه شوراكي في ترجمته الواهية ، انظر : A , Chouraqui : l'appel p : 57

وهو ما يعني : قال سلام مع أنهم بدوا له منكرين.

وهذا المعنى أبعد ما يكون عن المعنى الأصلي للآية الذي يفهم منه أن إبراهيم عليه السلام رد التحية على ضيفه الذين أكرمهم وكانوا من الملائكة الكرام قائلا: سلام عليكم، أنتم غرباء لا نعرفكم.

ولو رجع جاك بيرك إلى ترجمات غيره من المستشرقين لوجدهم جميعا يترجمونها كالتالي[1] : Abraham dit : Salut ! O gens inconnus أو étrangers

د- في الآية (٣٠) من السورة نفسها (أي الذاريات) قرأ جاك بيرك قوله تعالى: ﴿قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ٣٠﴾ بما يفيد أن الملائكة قالت إن الله تعالى قال بإن الغلام حكيم عليم، في حين أن صفتي الحكيم العليم في الآية تعودان على الله سبحانه وتعالى وليس على الغلام، وهذا يدل على عدم استيعاب المترجم لمفهوم الآية ومدلولها فضلاً عن عدم اهتدائه إلى من يعود عليه الضمير في (إنه).

لقد جاءت ترجمة جاك بيرك على الصورة التالية:

"Ils dirent :" C'est ainsi ! Dieu a dit que ce garçon serait le sage , le connaissant".

أما الترجمة الأقرب إلى الصواب فهي :

"Ils dirent:Ton Seigneur a parlé ainsi ; Il est en verité, le sage , Celui qui sait ".

هـ- في الآية (٢٧) من سورة الفتح ﴿ لَتَدۡخُلُنَّ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ ﴾ فهم منها جاك بيرك أنها للمخاطب المفرد في حين أنها للجمع، فترجمها بقوله : Puisses –tu entrer والترجمة في أصلها قاصرة لأن المترجم أغفل لام التوكيد التي دخلت على الفعل ووضع مكانها فعل "أمكن" (يمكنك الدخول) .

---

(١)انظر على سبيل المثال ترجمتي محمد حميد الله ودنيس ماصون عند الآية ٢٥ من سورة الذاريات.

و–ترجم بيرك الآية (٣) من سورة الرعد عند قوله تعالى ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًاۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِۖ.. ﴾ بقوله: C 'est Lui qui a ètendu la terre , y dispose des anecages et des fleuves et toute sortes de fruits . Il y-établit les partenaires des couples.

وبذلك يكون المترجم قد فصل بين عبارتي (ومن كل الثمرات) و(جعل فيها زوجين اثنين) معتقداً أن الأولى معطوفة على ما سبق والثانية استئناف لكلام جديد، وهذا ما يتضح من وضعه لنقطة بين العبارتين واستئناف الكلام بحرف البداية الكبير(Majuscule) وكأن الآية قد أصبحت تقول: إن الله خلق كل الثمرات ثم بعد ذلك جعل في الأرض زوجين. في حين أن المعنى الواضح للآية هو: (وجعل فيها من كل الثمرات صنفين اثنين فكان منها الأبيض والأسود والحلو والحامض)[(١)] وقد ترجم الآية معظم المترجمين بما هو مقبول وملائم لنظم الآية من ذلك ما جاء في ترجمة حميد الله:

" Et de tout les produits Il y a assigné les couples par deux "

وقد وقعت المستشرقة الفرنسية دنيس ماصون في الخطأ نفسه عند ترجمتها للآية [(٢)].

خامساً:أخطاء ناجمة عن التصحيف في قراءة ألفاظ قرآنية.

من المستغرب حقاً أن يضيف المترجم لمعاني القرآن الكريم إلى الأخطاء المتنوعة والمتعددة التي وقع فيها –نتيجة عوامل وأسباب شتى– أخطاء أخرى لا تعدو أن تكون ناجمة عن الخطأ في قراءة اللفظة القرآنية، وهي الأخطاء التي

(١)انظر :التفسير الميسر ص ٢٤٩.

(٢) D , Masson ; Opcit p 322.

تنجم عن التصحيف في القراءة. وهذا الأمر يقلل بدون شك من قيمة الترجمة وصاحبها، إذ يُفترض فيمن يُقدِم على ترجمة معاني القرآن الكريم أن يكون قد استأنس بمختلف المعاني القرآنية بعد قراءات متتالية ومتعددة للقرآن الكريم تحول دون غُربة المترجم عن النص القرآني .

وقع جاك بيرك –الذي كان عضواً بمجمع اللغة العربية بالقاهرة– في بعض تلك الأخطاء الناجمة عن قراءته لألفاظ قرآنية على غير ما هي عليها مما ترتب عنه تحريف للمعاني وتشويه للحقائق القرآنية. وفيما يلي بعض النماذج:

أ–في سورة المائدة:الآية (٣)، عند قوله تعالى ﴿ حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ...... إلى قوله تعالى : ﴿إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ﴾ ترجم جاك بيرك (إلا ما ذكيتم) بقوله: Sauf aprés purification وقد تملكتني الحيرة أول الأمر حينما قرأت هذه الترجمة، إذ ما علاقة التطهير بالتذكية الذي هو مصطلح فقهي محدَّد، فقوله تعالى: "إلا ما ذكيتم" هو استثناء مُتصل (على الراجح) متعلق بالمحرمات الخمس السابقة وهي: المنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السبع، فكيف غاب عن بيرك معنى التذكية؟ لو تأمل القارئ جيدا في الترجمة وتساءل عن وجه الارتباط بين اللغتين فإنه سيجد أن الأمر قد اختلط على المترجم اختلاطاً شديداً لم نجده عند غيره، ذلك أنه قرأ (إلا ما ذكيتم) بإبدال الذال زاياً، وكأني به قد تلاها في مصحف كُتِب رسم الذال فيه مائلا شيئا إلى أسفل ليكاد يصبح زاياً، فظنه عضو مجمع اللغة العربية زاياً فأضحت الآية (إلا ما زكيتم)، ومن المعلوم أن معنى التزكية والتطهير في اللغة الفرنسية متقارب وهو : purification.

والذي يؤكد صحة وقوع جاك بيرك في هذا الالتباس أنه في مواضع كثيرة من القرآن أعطى للفظة الزكاة مقابلا بالفرنسية هو purification[١]، والمثير للعجب أن يصرح المترجم في حوار معه[٢] بأنه أعاد النظر في ترجمته ثلاث مرات قبل أن يخرجها للناس، فلو كان الأمر كذلك كيف غاب عنه الوجه الصحيح لترجمة الآية في إحدى مراجعاته لاستدراك الخطأ؟ وهَلاَّ أسعفته كتب التفسير الكثيرة التي رجع إليها وقد عقدت عند تفسير الآية فصولاً ومباحث مطولة للحديث عن الذكاة وشروطها والخلاف الوارد بين الفقهاء فيما يذكى ومحل التذكية، ألم يكن ذلك كافيا للتنبيه على المعنى الصحيح؟ أما الذي يثير الغرابة أكثر فهو عدم رجوع بيرك إلى الترجمات الفرنسية الأخرى وقد اتفقت جميعها على ترجمة الآية قريبا مما يلي:

. Sauf celle que vous égorgez avant qu 'elle ne soit morte.

أليس هذا دليلاً كافياً على استخفاف بيرك بترجمات غيره وتقليله من شأنها واتهامها بكونها قاصرة ؟ يقول في حوار أجري معه وهو يُقَوِّم ترجمات غيره:"إن الترجمات التي قُدِّمت إلى حد الآن إلى اللغة الفرنسية كانت من قِبل مترجمين يحسنون اللغة الفرنسية أكثر من اللغة العربية أو العكس[٣] أي أشخاص يتقنون اللغة العربية أكثر من إتقانهم للغة الفرنسية ولذلك فإن

(١)لقد نبهنا في ص ٢٦ على خطأ هذه الترجمة على اعتبار أن الزكاة مصطلح شرعي يدل على فريضة معينة لا ينبغي الاقتصار في ترجمته على ما يفيد التطهير والتزكية.

(٢)مجلة "Arabies " الفرنسية، عدد مارس ١٩٩٠ ص ١٢.

(٣)المقصود بذلك المستشرقون من جهة والمسلمون من جهة أخرى.

الترجمات كانت مُعَرضة لبعض الخلل أو النواقص، أما من ناحيتي فأنا فرنسي قُح، وقد تعلمت اللغة العربية وأزعم أنني أتقنها بشكل جيد..."(١).

بـ– عند قوله تعالى: ﴿ لِّيُرَوۡاْ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٦﴾ (الزلزلة ٦) قرأها جاك بيرك: لِيَروا أعمالهم ولم ينتبه لصيغة البناء للمجهول الواردة في الآية، فجاءت ترجمته كما يلي: .pour contempler leurs actions وهي ترجمة لا تؤدي المعنى الحقيقي للآية حيث إن الله تعالى هو الذي يُري الناس ما عملوه من السيئات والحسنات يوم رجوعهم عن موقف الحساب أصنافا متفرقين، والترجمة الأقرب إلى المراد هي(٢): . Pour que leur soient montrées leurs oeuvres

جـ– ترجم جاك بيرك قوله تعالى ﴿ فَتَكُونَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِۚ ﴾ (المائدة٢٩) بقوله: .Et sois donc parmi les compagnons du Feu وهو ما معناه (فكُن من أصحاب النار) فتصحفت بذلك لفظة (فتكون) إلى صيغت الأمر (فكُن) وهو ما يعكس المعنى المراد من الآية القرآنية.

سادساً: التصرف في ترتيب أجزاء الآية القرآنية الواحدة.

من أغرب ما وقع فيه جاك بيرك من تغيير للنص القرآني تصرفه في ترتيب مقاطع الآية القرآنية الواحدة، ولم يُبدِ لنا المترجم سببا لإقدامه على هذا التغيير المتعَمَّد الذي لا يجوز في حق أي نص يراد ترجمته، وبالأحرى إذا تعلق الأمر بالنص القرآني!!

---

(١)انظر نص الحوار الذي أجراه معه مندوب مجلة " رسالة الجهاد" الليبية بباريس، عدد ٨٤ (١٩٩٠) ص ٨٣.

(٢)انظر ترجمة محمد حميد الله للآية، أما ترجمة دنيس ماصون فهي كذلك لا تؤدي المعنى الصحيح.

ومن ذلك على سبيل المثال ترجمته لقوله تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ﴾(لقمان٢٩) حيث عكس الآية كما يلي:"يولج النهار في الليل ويولج الليل في النهار".ومن ذلك أيضا ترجمته لقوله تعالى: ﴿يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَيِّۚ ﴾ (الأنعام ٩٥) حيث عكس الآية كما يلي:"يخرج الميت من الحي ويخرج الحي من الميت" ومن ذلك أيضا قوله تعالى ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ﴾ (الشورى ١٥) وقوله عز وجل ﴿فَيُؤۡخَذُ بِٱلنَّوَٰصِي وَٱلۡأَقۡدَامِ ﴿٤١﴾﴾ (الرحمن ٤١) .

إن جاك بيرك يعلم جيدا أن من الأمانة العلمية في مجال ترجمة النصوص -كيفما كانت- الاحتفاظ بترتيب الكلام حسب ما أراده صاحب النص الأصلي، ومن الخطأ الاعتقاد بأن أمر التغيير هَين ولا يؤثر في معنى الآية القرآنية. ففضلا عن توقيفية ترتيب النص القرآني (إذا كان ترتيب الآيات توقيفيا فترتيب أجزاء الآية الواحدة توقيفي بصورة قطعية) أشار كثير من علماء الإعجاز القرآني والمفسرين إلى حِكَم جليلة تظهر من ترتيب أجزاء الآية الواحدة، وقد أكَّد الإمام الرازي في تفسيره كثيراً من تلك اللطائف العجيبة التي تدل على أن كل لفظة في مكانها لا يصلح في موضعها غيرها ولا يؤدى معنى الآية كاملا إلا بها في مكانها مؤتلفة مع غيرها غير متنافرة.

وقد تحدث الإمام الخطابي (ت٣٨٨) في كتابه "إعجاز القرآن" عن الإعجاز القرآني من جهة البلاغة فأكد أن مناط البلاغة في النظم القرآني هو "اللفظ في مكانه إذا أبدل فسد معناه أو ضاع الرونق الذي يكون منه سقوط

البلاغة"[1] ولعل أبرز مثال على ذلك ما أقدم عليه المترجم من عكسٍ لنص الآية﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ﴾ (الأنعام ١٥١)حيث قدَّم الأولاد على الآباء كما هو في آية (الإسراء)[2]، والفرق بين ترتيب الضميرين في الآيتين يرجع إلى أن آية الأنعام تنهى عن قتل الأولاد بسبب الفقر الواقع فعلا فاقتضى المقام تذكير الآباء بأن رزقهم ورزق أبنائهم مكفول من الله أما في الإسراء فإن الآية تنهى عن قتل الأولاد خوف الفقر المتوقع لهم في مستقبلهم فاقتضى المقام التذكير بأن رزق الأبناء مكفول كرزق آبائهم، لذلك فإن الحفاظ على ترتيب أجزاء آية الأنعام- في ظل إعجاز نظمها- يبدو ضروريا ولا ينبغي التصرف فيه[3].

وفي السياق نفسه يلاحظ أن المترجِم يتصرف أحيانا في الترجمة بإدخال أقواس يفتحها ويغلقها كما يشاء ضاربا بمبدأ الالتزام بالتركيب الأصلي للآية عرض الحائط، ولا يخفى أن إدراج الأقواس في الترجمة يُخل بالمعاني والمقاصد القرآنية ويحرف طرق الخطاب القرآني. وقد رأينا من قبل[4] كيف أن جاك بيرك حرَّف معنى قوله تعالى ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ

(١)بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز، طبعة دار المعارف بمصر ص ٢٢.

(٢)وهو قوله تعالى : ﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ .

(٣)لقد أكد بعض المفسرين الفرق بين آيتي الأنعام والإسراء وسر تقديم الآباء في الأولى وتقديم الأبناء في الثانية (انظر على سبيل المثال :كتاب:نظم الدرر في تناسب الآي والسور للبقاعي، ط١٩٧٣/١ (٣١٧/٧) وراجع كتاب "أسرار التكرار في القرآن الكريم للكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا،طبع دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٧ ص ٧٥.

(٤)ص ٣٦.

إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ عندما لم يفهم معناها، فأدخل الأقواس مما نجم عنه تشويه للمعنى وتحريف لطريقة الخطاب القرآني، فجاء معنى الترجمة كالتالي (قلنا يا "نار كوني بردا" وسلام على إبراهيم) وهناك نماذج كثيرة في الترجمة أدرج فيها بيرك أقواسا ضمن السياق القرآني مما أخل بالمعاني الأصيلة والمقاصد الهادفة[1]. بالمقابل يلاحظ أنه عندما تدعو الضرورة إلى إدراج أقواس لتطويق كلمات أو جمل زائدة أضيفت للضرورة قصد توضيح المعنى، فإن المترجم لا يلتفت لذلك مما يعد أيضا إخلالا بقواعد الترجمة[2] .

سابعاً: الترجمة بما يثير السخرية لدى القارئ الغربي.

مما يلاحظ على جاك بيرك في ترجمته لمعاني القرآن الكريم أنه يحاول أحيانا أن يُغرب في الترجمة إلى الحد الذي يجعله يأتي بما هو محَل للسخرية والاستغراب من طرف القارئ الغربي الذي لا يستطيع استيعاب معنى الترجمة، بل أكثر من هذا، قد يذهب به الخيال بعيدا فيتصور معاني ومدلولات موغِلة في الغرابة والإبهام فلا يكاد يستقر لديه المعنى المراد، والسبب في ذلك إمعان المترجم في ترجيح ترجمات غريبة على ما اتفق عليه معظم الذين قاموا بترجمة القرآن ولو من بني جلدته.

ومن أمثلة ذلك ترجمة عبارة (أولي الألباب) بقوله Ceux dotés de moelles وهو ما يعني: (أصحاب النخاع)، وإذا كانت لفظة (النخاع) تدل في معناها المجازي في اللغة الفرنسية على لب الشيء وأهم ما فيه، فإن تقديمها

---

(١)من ذلك ما جاء في ترجمة الآيتين ١٠٥-١٠٦ من سورة يونس.

(٢)انظر على سبيل المثال إضافة لفظة (Miette) في الآية ٢٠ من سورة الشورى وإضافة بي (أكفرتم بي)!! في الآية ١٠٦ من سورة آل عمران.

مقابلا للفظة "الألباب" القرآنية يعد إخلالاً واضحاً بالمقصود من الترجمة الذي هو محاولة إفادة القارئ الأعجمي بما هو قريب من المراد من الآية.

لقد وردت لفظة "الألباب" ست عشرة مرة في القرآن ترجمها بيرك جميعا بلفظة (النخاع) ولم يحاول ولو مرة واحدة أن يجاري زملاءه من مترجمي القرآن الكريم أمثال دنيس ماصون ومحمد حميد الله وحمزة بوبكر وغيرهم ممن ترجموا عبارة (أولو الألباب) بـ(أولو العقول:..........)

ومما يثير السخرية والاستغراب لدى القارئ الغربي، ما جاء في ترجمة بيرك لقوله تعالى﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ ٣١﴾ (الرعد ٣١) حيث قال:

Dieu ne manque pas au rendez - vous

وهو ما معناه أن الله لا يتخلف عن الموعد الذي ضربه لنفسه، ومعلوم أن عبارة " rendez-vous" تعني بالفرنسية الموعد الذي يتفق عليه شخصان كالموعد مع الطبيب وموعد الاجتماع إلى غير ذلك.فكيف يتفق هذا مع المراد من الآية الذي يعلمه بيرك جيداً بحكم اطلاعه على ترجمات أسلافه، وهو المراد الذي يدل على أن الله لا يُخلف وعده، وهو ما ذهب إليه كل من محمد حميد الله وبوبكر ودنيس وبلاشير وغيرهم. عندما ترجموا الآية بقولهم:

Dieu ne manque pas à Sa promesse . ولعل الذي يدل دلالة قوية على أن جاك بيرك كان يعلم جيدا معنى الآية والطريقة الصحيحة لترجمتها هو أنه ترجم اللفظة في الآيات (آل عمران٩/ الحج٤٧/ الروم٦) بما يدل على الموعد-rendez-vous، في حين ترجمها في الآية (٢٠) من سورة الزمر ترجمة صحيحة : Dieu ne saurait faillir à Sa promesse . لكن المترجم أبى إلا أن يأتي بما يثير الاستغراب والسخرية.

ومما يثير السخرية أيضا في الترجمة البيركية ما سبق أن نبهنا عليه في موطن سابق[1] من ترجمته للفظة (الأرحام) بما يفيد رحم المرأة في اللغة الفرنسية (matrice) ففي قوله تعالى ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ﴾ (النساء:١) ترجمها بقوله:أي أرحام النساء . Et aussi envers les matrices. ولا يخفى مدى فظاعة الصورة التي يمكن أن تتكون لدى القارئ الغربي عند قراءته لهذه الترجمة التي –فضلاً عن إثارتها للسخرية والاستغراب– لا تؤدي إلى أدنى حظ من المراد المقصود من الآية.

ومن نماذج الترجمة التي تبعث على السخرية، ما ترجم به بيرك لفظة "أعجمي" الواردة في القرآن أربع مرات. وإذا كان جل المفسرين قد أوضحوا أن اللفظة معناها "غير العربي" وقد وردت في ثلاث آيات دالة على اللسان أو اللغة (أي لغة القرآن)[2] ومرة واحدة دالة على الأعجمين أي غير العرب[3]، فإن جاك بيرك قد أبى إلا أن يترجم اللفظة بكلمة " barbare" التي تدل على الوحشية وكل ما هو فظيع، وهو معنى بعيد كل البعد على المعنى القرآني الذي لا يمكن نقله سوى بلفظة " non arabe" أو " étranger" [4]. ويبدو أن جاك بيرك قد تأثر بالثقافة العبرية التي تسحب معنى "البربري" barbare" على كل من لم يكن يهودياً، مما أوقعه في خطأ جسيم نحسب أنه ذو تأثير سلبي بالغ في القارئ الغربي على وجه الخصوص.

---

(١)انظر فيما سبق ص ٢٩.

(٢)النحل ١٠٣–فصلت ٤٤ (مرتان).

(٣)الشعراء ١٩٨.

(٤)حرص محمد حميد الله على استعمال اللفظتين معا في سورتي النحل وفصلت.

ثامناً: عدم الالتزام بترجمة موحَّدة للفظة القرآنية.

سبق أن رأينا كيف ترجم جاك بيرك المسجد الحرام بعبارات مختلفة تتفاوت معانيها الحقيقية بصورة تجعل القارئ يحار في معرفة المراد المقصود، ويظهر أن المترجم يتعمد عدم الثبات على صيغة موحَّدة في ترجمة الألفاظ والجمل القرآنية المتشابهة، وإذا كان هذا منهجاً خاطئاً في مجال الترجمة بصفة عامة، فكيف الأمر بالقرآن الكريم الكتاب السماوي المقدس الذي لا يمكن التلاعب بترجمة مفرداته وألفاظه بصيغ مختلفة وعبارات متنوعة تسهم في تشتيت ذهن القارئ والتشويش عليه؟ ولعل أقل ما يمكن أن تفرزه هذه الطريقة في الترجمة اعتقاد القارئ غير العربي أن ألفاظ الآيتين اللتين قرأهما بعبارات فرنسية مختلفة ليست متجانسة في أصلها العربي.

مثال ذلك ما جاء في ترجمة قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ﴾ (يوسف ٢٨)حيث ترجمها بقوله:

Quand (le maître) eut vu que la chemise ètait trouée par derrière.

وهو ما معناه: "فلما رأى قميصه مثقوبا من الخلف" لكن عند الآية رقم ٢٥ من السورة نفسها أي قبل هذا الموضع ببضعة أسطر ترجم بيرك قوله تعالى: ﴿ وَٱسۡتَبَقَا ٱلۡبَابَ وَقَدَّتۡ قَمِيصَهُۥ مِن دُبُرٍ﴾ بقوله:

Ils se poursuivirent vers la porte ; elle lui déchira la chemise par derrière .

وهو ما معناه :"واستبقا الباب ومزقت قميصه من الخلف". وشتان بين معنى (قد الثوب) أي شقه طولاً ومعنى الثقب والخرق، ولا شك أن القارئ غير العربي عندما يقرأ الآيتين مترجمتين سوف يعتقد لا محالة أن المعنيين المرادين مختلفان، في حين أن مفهوم قَدّ القميص متضمن فيهما معاً.

ومن نماذج عدم الالتزام بترجمة موحَّدة للفظة القرآنية ما نجده أيضا في ترجمة لفظة "فعقروها" في قصة ناقة ثمود حيث ترجمها جاك بيرك في سورة الشعراء (١٥٧) بقوله ils l'abattirent بمعنى:قتلوها، في حين ترجمها(في هود ٦٥ والشمس ١٤) بقوله[١] ils lui coupèrent les jarrets، وهذا تناقض بَيِّن في إعطاء مدلول موحد للفظة القرآنية الواحدة، وفي مثالنا هذا قد يتردد فهم القارئ بين المعنيين فلا يكاد يتبين المعنى الصحيح .

ومن أمثلة ذلك أيضاً ترجمته للفظة "خليفة" ففي قوله تعالى ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ ﴾ (البقرة ٣٠) ترجم بيرك (خليفة) بـ lieutenant وهي ترجمة غير صحيحة فضلا عن تضمنها للطابع العسكري الذي تدل عليه اللفظة في معناها الفرنسي[٢]، والذي يهمنا في هذا الصدد أن المترجم لم يستقر على ترجمة موحدة للفظة (خليفة) ففي قوله تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَـٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾ (الأنعام ١٦٥) ترجم اللفظة التي جاءت بصيغة الجمع بكلمة Successeurs وترجمها في آية أخرى ﴿ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ﴾ (النمل ٦٢) بكلمة lieutenant كما في آية البقرة، في حين ترجمها في قوله تعالى: ﴿ يَـٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَـٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ (ص: ٢٦) بكلمة lieutenance أي ملازمية بصيغة المصدر.

---

(١) Les jarrets بمعنى العرقوب (للحيوان) أي بين الساق والوظيف.

(٢)لفظة lieutenant تعني "ملازم" وهي رتبة عسكرية شائعة المدلول.

وهكذا يبدو أن لفظة "خليفة" في القرآن جاءت مترجَمة لدى جاك بيرك بصيغ ثلاثة مختلفة، وهذا يعد إخلالا واضحا بقواعد الترجمة التي تفرض الالتزام بترجمة موحدة للفظة الواحدة تجنبا للتشويش على القارئ.

تاسعاً: الإغراب في ترجمة أسماء السور القرآنية.

أصر جاك بيرك على أن ينهج في ترجمة أسماء السور منهجا غريبا يصعب تلمس خيوطه ومعالمه، فهو لا يلتزم أحياناً بصيغة الجمع الواردة في أسماء بعض السور كما في الذاريات التي يسميها بفعل: Vanner (ذرَى) حيث انتقل اسم السورة من اسم الفاعل بالجمع إلى صيغة الفعل ثم إن الفعل الذي أتى به المترجم لا يؤدي المعنى المطلوب، فالسورة تتحدث في مستهلها عن الرياح التي تذرو الغبار فتفرقه وتحمل الرمال من مكان إلى آخر. ولدى الرجوع إلى الترجمات القرآنية الأخرى وجدناها جميعاً قد التزمت بصيغة الجمع كما عند محمد حميد الله (qui éparpillent) ودنيس ماصون (Ceux qui se déplacent rapidement) وغيرهما. أما سورة المرسلات فيترجمها بيرك بلفظة l 'envoi بمعنى الإرسال وشتان بين اسم المفعول بالجمع (المرسلات) والمصدر (الإرسال). ومهما اختلف المفسرون في معنى المرسلات هل هي الرياح التي تهب متتابعة أو الملائكة؟ فإنها تفسر عندهم جميعا بالجمع و لا مجال للحديث عن الإرسال في صيغة المصدر. ولكي يسوغ المترجم ما رجحه، حاول في الحاشية أن يوهم القارئ بأن من معاني المرسلات: الرياح والملائكة وعملية إرسال الوحي، ثم قال: ويبدو التفسير الأخير أكثر رجحانا، وهذا افتراء من

الرجل، إذ إن جل المفسرين أجمعوا على أن اسم السورة يتفاوت معناه بين معنى الرياح ومعنى الملائكة[١]، ولم يقل أحد بأن معناه: عملية إرسال الوحي[٢].

وفي السياق نفسه نجد جاك بيرك يترجم اسم سورة الفتح الذي هو مصدر بجملة غريبة وهي قوله: Tout s'ouvre، أي ما معناه (كل شيء ينفتح)، ولا شك أن معنى اسم السورة هو النصر والتمكين بدليل أن السورة تتحدث عن صلح الحديبية الذي تم بين الرسول صلى الله عليه وسلم وبين المشركين سنة ست من الهجرة والذي كان بداية للفتح الأعظم (فتح مكة) وهو المراد باسم السورة ومستهلها، وهو المستهل الذي ترجمه بقوله :

C 'est bien Nous qui pour toi ouvrons l'ouverture éclatante .

أي: "إنا نحن الذين نفتح لك (الفتحة) أو الانفتاح الواضح ". وهو ما لا يؤدي بتاتاً إلى المعنى المراد من قوله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ١﴾.

والأغرب من هذا كله ترجمته لاسم سورة الروم بلفظة " Rome" أي مدينة روما، في حين أن لفظة "الروم" في اسم السورة ومستهلها ﴿ الٓمٓ ١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ ﴾ يقصد بها البيزنطيون[٣] وهو ما لم يخالف في تفسيره أو ترجمته من طرف المسلمين أو المستشرقين أحد فيما نعلم.

---

(١) انظر تفسير الطبري١٤/٢٨٣ وتفسير ابن عطية (طبعة المغرب١٩٩)ج ١٦ص ١٩٦وتفسير القرطبي٢٠/١٥٤.

(٢)الغريب في الأمر أن المترجم يصر على إبقاء الترجمة كما هي في أول السورة (والمرسلات عرفا) وفي الذاريات أيضا (والذاريات ذروا) وهو ما يجعل المعاني المقصودة تحرَّف وتشوه بما لا يدع مجالا للشك في أن القارئ الغربي لن يكون له أدنى حظ لفهم شيء من المعنى المراد.

(٣)هم الرومان الشرقيون المغلوبون من طرف الفرس في سنة ٦١٣م والذين سقطت مدنهم الرئيسية بعد ذلك

والعجيب في الأمر استهزاء المترجم بالمقاصد القرآنية وبقواعد وضوابط الترجمة التي ينبغي مراعاتها بدقة وأمانة وذلك عندما يشير في الحامشية إلى أنه يعلم جيدا أن المراد بالروم هم البيزنطيون، لكنه أراد ترخيم الصوت فوضع بدل ذلك اسم روما، يقول:"لأسباب ترخيم الصوت نقول: روما، حيث كان يجب وضع لفظة "البيزنطيون[1] .

ثمة ملاحظة أخرى ترتبط بذكر المترجم لأسماء أخرى عرفت بها بعض السور وقد نص عليها بطريقة مشوشة ومُربكة لذهن القارئ الغربي، حيث درج بيرك على وضع اسمين اثنين لبعض السور عنواناً لها، مثال ذلك قوله: (المؤمن أو غافر) (التوبة أو براءة) (الإسراء أو بنو إسرائيل) وهكذا. ولا شك أن القارئ غير المسلم قد تنتابه الدهشة عند قراءته لمثل هذه العناوين المتنوعة الموضوعة لأسماء السور[2] فيعتقد أنه خلاف وارد أو تردُّد حاصل من طرف مَنْ جمع القرآن، وقد يذهب به الخيال بعيداً لتصوُّر ما لا ينبغي في حق كتاب الله تعالى، وقد كان الأجدر بالمترجم أن يوضح ذلك في الحاشية مع الاقتصار على وضع الراجح والمشهور من الأسماء عند رؤوس السور فيقتصر مثلا في الأمثلة على: سورة غافر وسورة التوبة وسورة الإسراء وهكذا، ولسنا ندري لماذا يميل جاك بيرك إلى مخالفة غيره من المترجمين فيما وفقوا إلى حد ما إلى ترجيحه،

لكنه في بضع سنين وفي السنة ٦٢٤ انتصر الروم على الفرس كما أخبر بذلك القرآن الكريم.

(١) Le Coran p 431.

(٢)من المعلوم أن بعض السور القرآنية تحمل أسماء عديدة مثل المائدة ومحمد (صلى الله عليه وسلم) والإسراء وغافر، وهناك ما له أكثر من ثلاثة أسماء مثل التوبة والفاتحة ، يراجع البرهان للزركشي ٢٥٧/١ والإتقان في علوم القرآن للسيوطي، تحقيق محمد أبو الفضل -القاهرة ١٩٦٧ (١٨٤/١).

في حين يقع هو في كثير من الاجتهادات الغريبة غير الموفقة التي تدل بجلاء على شذوذ فاضح وإغراب واضح؟[1].

عاشراً: انعدام التركيز وقلة الاحتراس أثناء الترجمة.

مما يلاحظ على ترجمة جاك بيرك حصول كثير من الأخطاء الناتجة فيما يبدو عن التسرع في الترجمة وعدم التيقظ والتأمل مليا في الآية القرآنية المراد ترجمتها من حيث تركيبها وأسلوبها وبنيتها، ومثل هذه الأخطاء التي قد لا يستشف من بعضها عنصر التعمد تعد مُخِلة بالمعاني الحقيقية للآيات ومحرِّفة للمقاصد القرآنية الثابتة التي لا يمكن أن تؤدى كاملة إلا بالحرص على الالتزام بصياغة الآية وتركيبها وأجزائها كما هي دون زيادة أو نقصان. والذي يمكن تأكيده –مرة أخرى–هو أنه في ظل الأخطاء الكثيرة الناجمة عن قلة التنبه وعدم الاكتراث لا نعتقد أن المترجم قد تجشم مشقة مراجعة عمله وتنقيحه ثلاث مرات قبل أن يجد طريقه إلى النشر كما ادعاه في بعض الحوارات التي أجريت معه.

وفيما يلي استعراض لبعض تلك الأخطاء والتحريفات التي تشوه النص القرآني وتحرف مقاصده ومعانيه:

* ففي قوله تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ حَٰجَجۡتُمۡ فِيمَا لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيۡسَ لَكُم بِهِۦ عِلۡمٞۚ﴾ (آل عمران: ٦٦)ترجم بيرك

(١)من هذا الشذوذ ترجمته لأوائل سورتي (ص) و(ق) بحرفين من حروف المعجم الفرنسي هكذا :S-Q بدل ترجمتهما بـ Sadو Qaf ، كما هي عنده في اسم السورة وكما سار على ذلك كل الذين أقدموا على ترجمة معاني القرآن.

الشطر الأول من الآية بمثل ما ترجم به الشطر الثاني فجاء المعنى المحرف كالتالي "هأنتم هؤلاء حاججتم فيما ليس لكم به علم فلِمَ تحاجون فيما ليس لكم به علم".

-وترجم قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ ٱلرَّسُولُ بِٱلْحَقِّ ﴾ (النساء ١٧٠) بجمع لفظة الرسول (الرسل).

– وترجم قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ﴾ (المائدة ١١٨) بما يفيد العبيد les esclaves لكنه في موضع آخر ﴿ وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾ (الفرقان ٦٣) ترجم لفظة العباد بما هو مناسب : les adorateurs

– وانقلب قوله تعالى:﴿ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿١٢٣﴾ ﴾ (الأعراف ١٢٣) في ترجمة بيرك إلى (فسوف ترون) .

– وتحولت صيغة الجمع الواردة في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَمِعُواْ لَهُۥ وَأَنصِتُواْ﴾ (الأعراف:٢٠٤) إلى صيغة الإفراد (فاستمع له وأنصت) .

– ووقع المترجم في الخطأ نفسه عندما وضع مكان (إلها آخر) من قوله تعالى: ﴿لَّا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ﴾ (الإسراء ٢٢) عبارة (آلهة أخرى) بصيغة الجمع.

– أما قوله تعالى:﴿ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴾ (الفرقان١٢) فقد ترجمه بيرك بما معناه (إذا رأوها من مكان بعيد).

– وجاء أول سورة فصلت ﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ في الترجمة بتغيير الرحمن إلى العزيز: Le Tout Puissant. إلى غير ذلك من الأخطاء

الكثيرة التي تدل على قلة الاكتراث وانعدام التركيز أثناء القيام بعملية الترجمة مما يدل على عدم العناية بترجمة النصوص القرآنية كما هي في أصلها دون تحريف أو تغيير.

حادي عشر:الحواشي والتعليقات.

إن مما عمل مترجمو معاني القرآن الكريم على إضافته إلى ترجماتهم تحرير جهاز نقدي من التعليقات والتوضيحات والحواشي يتعلق بكل ما قد يُبهَم أو يُشكَل على القارئ ذي الثقافة الإسلامية المحدودة جداً، ومن خلال تلك التعليقات يتضح لنا مدى تضلع المترجم في الثقافة الإسلامية بصفة عامة وفي علوم القرآن والتفسير وقواعد اللغة العربية والبلاغة على وجه الخصوص.

ويعد جاك بيرك واحداً ممن اهتم بوضع جملة من التعليقات على بعض الآيات المترجمة، غير أن منهجه في التعليق والتوضيح والبيان وطريقة التمييز بين ما ينبغي التعليق عليه، وما لا يحتاج لذلك.كل ذلك يبدو غير سليم ويحتاج إلى التنبيه عليه. والمثير للانتباه أن معظم تعليقات جاك بيرك لا تؤدي المقصود والمراد منها، فهي إما تعليقات غير صائبة كان من الأفضل الاستغناء عنها أو تعليقات تثير نوعا من التشويش والبلبلة في ذهن القارئ[1]. أما التعليقات المفيدة المرتبطة بالآيات التي قد يُبهَم ويُشكَل معناها على القارئ فهي نادرة

(١)بل نجد من التعليقات ما يسهم في التخويف من الإسلام من خلال توظيف المصطلحات الغريبة المغرضة التي يتم إسقاطها على الثقافة الإسلامية بصورة مثيرة ، من ذلك ما جاء تعليقا على قوله تعالى ﴿ٱنفِرُواْ خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَٰهِدُواْ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ (التوبة ٤١) حيث قال: إن الأمر هنا يتعلق بالجهاد وهو المفهوم الشائع في الغرب باسم : الحرب المقدسة la guerre sainte ، وبذلك يؤكد جاك بيرك للقراء الغربيين أن مفهوم الحرب المقدسة (وهو بالمناسبة مصطلح صليبي) موجود في القرآن الكريم وشتان بين مفهوم الجهاد ومفهوم الحرب المقدسة.

جداً، بل إن كثيراً من الألفاظ القرآنية التي ترجمها بيرك إلى لغة فرنسية معقدة وغريبة لا نكاد نجد تعليقا عليها يوضح معناها أو يبين المقصود منها.

والمترجِم حريص على أن يضع لكل سورة تقديماً موسعاً في الحاشية يتحدث فيه عن موقع السورة بين باقي السور وما تتضمنه من محاور وقضايا وموضوعات يصنفها ضمن مجموعات من الآيات، ولا يفوته في كل تقديم أن يثير مسألة ترتيب الآيات داخل السورة حسب المنهج الاستشراقي الذي لا يتردد في الإشادة به واتهام المنهج الإسلامي بكونه قاصرا في الاهتمام بالموضوع. وهذا أمر طبعي بالنسبة لرجل لا يؤمن بالرواية الإسلامية الصحيحة في مجال ترتيب السور والآيات مما اعتمده علماء المسلمين، في حين يرجح ما ذهب إليه العقل الاستشراقي ورجحه أساتذته القدامى أمثال: نولدكه وبيل وبلاشير[١].

ومن خلال تعليقات جاك بيرك تبدو نزعة استهداف التشويش والبلبلة في ذهن القارئ واضحة وجلية، فهو يسعى في كثير من الأحيان إلى التهوين من شأن التفاسير ولا يكاد يتعلق في إحالاته بغير تفسيري الطبري والقاسمي[٢] معرضاً عن بقية التفاسير التي كثيرا ما يصفها بالقاصرة في توضيح معنى أو بيان إشكال، فهو يحلو له أن يقول مرة :"إن التفاسير القرآنية تجد صعوبة في تفسير

---

(١)كثيراً ما يحيل على بلاشير ونولدكه عندما يريد تعزيز وتسويغ ما يرمي إليه من قضايا استشراقية مغرضة انظر على سبيل المثال حواشي الصفحات : ١٨١-١٨٩-٢٧١-٤٥٦-٤٩٣-٦٦١ وغيرها .

(٢)يبدو المترجم معجبا إعجابا كبيرا بتفسير القاسمي ذي النزعة الإصلاحية لذلك فهو يسعى باستمرار إلى أن ينتقي منه ما يخدم أغراضه ومواقفه، انظر على سبيل المثال حاشية ص٢٠٢ عند الآية ٣٣ من سورة التوبة.

هذه الآية"[١] ويقول في موضع آخر (إن التفسير القرآني يعد هذه الآية غير مفهومة obscure)[٢]. إلى غير ذلك.

والمترجم يعلم جيدا أن المفسرين لم يتركوا مبحثا أو مسألة تتعلق بلفظة من ألفاظ القرآن إلا أشبعوها بحثا وقلَّبوها من جميع جوانبها، وإذا ثبت أن أحد المفسرين توقف في شيء من ذلك فلا يُعقل أن يكون ذلك حال جميع المفسرين كما يزعم بيرك، لذلك فإن سوء نية الرجل فيما زعمه يبدو واضحاً. من جهة أخرى فإن بيرك يسعى أحياناً إلى وضع حواشٍ وتعليقات غير مفيدة للقارئ ذي الثقافة الإسلامية المحدودة، فعند قوله تعالى:﴿ وَلَا تَسُبُّواْ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّواْ ٱللَّهَ عَدۡوَۢا بِغَيۡرِ عِلۡمٍۗ ﴾ (الأنعام ١٠٨) قال في الحاشية: هذه الآية تعد أساسا لنظرية "سد الذرائع المفسِدة " عند المالكية، فما عسى هذا التعليق أن يفيد القارئ العادي للترجمة ؟[٣].

ومما يظهر من تعليقات المترجم أنه كلما اجترح تحريفا أو تشويها في حق لفظة قرآنية سارع إلى تسويغ ذلك في الحاشية في محاولة يائسة لإقناع القارئ بجدوى ترجمته الغريبة وأهميتها، وهذا أمر يتردد كثيرا في التعليقات، بل

Le Coran p 227.(١)

(٢)يتعلق الأمر بالآية (٣٨) من سورة الأنعام وانظر أمثلة أخرى في الصفحات :٤٠٩-٤١٠ و٤٣٤ من الترجمة.

(٣)بالمقابل فإن المترجم لم يجد ما يعلق به على الآية (٣٧) من سورة البقرة سوى قوله :"هنا كلمات فضلا عن الأسماء المذكورة سابقا يلاحظ ما يمكن أن يستنبطه علماء الكلام والتصوف من هذه الثنائية". في حين كان عليه –كما فعل كثير من زملائه – أن يبين أن المقصود بالكلمات في الآية ما جاء في قوله تعالى : ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٢٣﴾
(الأعراف ٢٣) .

إن مما يدعو للاشمئزاز أن المترجم أحيانا يضع ما هو مرجوح في الأصل ويذكر في الحاشية أنه أعرض عن توظيف ترجمات أخرى منها ما هو راجح ومعتمد من طرف كل المترجمين [1].

أما في مجال القراءات القرآنية فإن المترجم لا يبين منها إلا ما كان مدعاة إلى إبراز اختلاف القراءات بطريقة تشوش على ذهن القارئ، فقد علق مثلا على قوله تعالى ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ ﴾ (الأنعام ١٣٧) بما ورد عن الزمخشري من رده لقراءة ابن عامر وغير ذلك من الخلاف مبرزا ذلك بطريقة مغرضة واضحة. وعندما أراد أن يعلق على اختلاف القراء الوارد في قوله تعالى ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّىۖ﴾ أشار إلى أن نافعا وابن عامر قرآها (اتَّخَذُوا) بصيغة الماضي على وجه الخبر، في حين قرأها الآخرون بصيغة الأمر(اتخِذوا).غير أن المترجم كتب لفظة (اتخذوا) بحروف لاتينية وبنطق عربي هكذا(attakhidhu)وهو ما لا يمكن لغير العربي أن يفهمه أو يستوعبه،مما يعني أن الحاشية قد أصبحت لَغواً لا فائدة منها لأن المترجم لم يحسن تبليغ اختلاف القراءة[2] في الآية بما يفهمه جميع القراء على اختلاف مشاربهم.

ومما يلاحظ على بيرك في ترجمته أنه كثيراً ما يقف طويلا في تعليقاته حيث لا يستدعي الأمر ذلك، لكن بالمقابل نجده يهمل توضيح بعض

---

(١)انظر على سبيل المثال ص ٣١ (لفظة الزكاة) وص ٢١٣ (لفظة السائحون) وغيرهما.

(٢)انظر بتفصيل اختلاف القراءات في الآية في كتاب "التيسير" للداني ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥، نشر دار الكتاب العربي ص ٧٦ وكتاب "الكشف عن وجوه القراءات السبع" لمكي بن ابي طالب ، تحقيق د محيي الدين رمضان، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٤ (٢٦٣/١)

الكلمات المترجمة، فالقبلة التي يترجمها بلفظة Direction: الاتجاه، لا يوضح معناها للقارئ وكلمة (صحف) يترجمها بـ feuilles: أوراق ولا يشرح للقارئ المراد من تلك الصحف أو الأوراق في السياق القرآني. والشيء نفسه يمكن قوله فيما يخص لفظة (سفَرة) التي ترجمها بـ Messagers دون أدنى توضيح أو تفسير[1]. وهذا ما قد يؤدي لا محالة إلى ارتباك وتشويش أو على الأقل إلى تساؤل مثير من طرف القارئ غير المتخصص.

إن مجموع الحواشي والتعليقات التي ألحق جاك بيرك ترجمته بها يعُدّ كثير منها ذا تأثير خطير في فهم القارئ ومدى استيعابه للمضامين والمعاني القرآنية المراد نقلها إلى اللغة الفرنسية، فهي ناقصة أو غير مفهومة وقد تكون زائدة بدون فائدة. لكن الخطورة القصوى تكمن في إهمال بيان ما يستحق الشرح والتوضيح ولا سيما وأن جاك بيرك المعروف بتحذلقاته اللغوية المعقدة كثيرا ما يُبهِم أكثر مما يُفهِم في كثير من المواطن التي تستوجب مساعدة القارئ –عن طريق التعليق– في فهم المراد من الترجمة المقترحة.

---

(١)لفظتا (صحف) و (سفرة) تقعان في سورة عبس :الآيتان ١٣ و١٥.

خاتمـــة :

هذه مجموعة من الملاحظات انصبت على إبراز معالم المنهج الخاطئ الذي سلكه جاك بيرك في ترجمة كثير من معاني القرآن الكريم،وقد اقتصرنا على التنبيه على الأخطاء والنواقص؛ لأن الأمر يتعلق بكتاب الله تعالى الذي ينبغي الحرص على أن لا تُحرَّف معانيه أو تُشوه مقاصده ودلالاته،أما المواطن التي أحسن فيها بيرك الترجمة وكان موفقاً إلى حد ما في نقل المعاني وبيان المراد من النصوص القرآنية،فلم نُشِر إليها لأن الإتقان وملامسة ما هو أقرب إلى الصواب هو المطلوب من كل من أقدم على ترجمة معاني القرآن،كما أن الغاية القصوى من هذا البحث هو كشف مواطن الخلل وجوانب القصور.

وإذا كان من المستحيل-كما رأينا من خلال المباحث السابقة- أن تقوم مقام اللغة العربية لغة أخرى تبرز الإعجاز اللغوي والأسرار البلاغية وظلال الألفاظ القرآنية التي يزخر بها النظم القرآني الكريم، فإن أية ترجمة لمعاني القرآن الكريم تبقى محاولة إنسانية قاصرة ما دامت تنصبُّ على ترجمة الآية بما يقابلها ويماثلها في اللغة الأجنبية، لأن في ذلك ضياعا للعديد من معاني القرآن ودلالاته وإيحاءاته،ويبقى الأمل في الدعوة إلى النهوض بترجمة تفسيرٍ موجز للقرآن جامع للمعاني واللطائف القرآنية المختلفة ، إذ إن الترجمات الفردية والحرفية سواء كانت من مستشرقين أو مسلمين يَعتورِها كثير من القصور والخلل وينالها من العيوب والنواقص ما ينبغي تنزيه كتاب الله تعالى عنها.

ونرجو الله تعالى أن تكون الملاحظات التي أبديناها بخصوص ترجمة معاني القرآن الكريم لجاك بيرك كفيلة بأن تُسهِم في تعزيز الجهاز النقدي

الشامل الذي يتعين تسليطه وتطبيقه على مختلف ترجمات معاني القرآن الكريم.
وبالله التوفيق ومنه نستمد العون والسداد .

(فاس:د حسن عزوزي)

قائمة المصادر والمراجع العربية

* الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، القاهرة ١٩٦٧م.

* أسرار التكرار في القرآن الكريم للكرماني، تحقيق عبد القادر أحمد عطا ، طبع دار الاعتصام بالقاهرة ١٩٧٧م.

* مدخل إلى دراسة علوم القرآن والتفسير، للدكتور حسن عزوزي –الطبعة الثانية– أنفو برانت–فاس ١٩٩٨م.

* البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي (ت٧٩٤هـ) ،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ،طبعة عيسى البابي الحلبي.

* بيان إعجاز القرآن للإمام الخطابي (ت٣٨٨هـ)، ضمن ثلاث رسائل في الإعجاز ، طبعة دار المعارف بمصر.

* تفسير الطبري(ت٣١٠هـ)،طبعة دار الفكر بلبنان ١٩٩٥م، قدم لها خليل الميس.

* تفسير ابن عطية الأندلسي (ت٥٤٢هـ)، طبعة وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالرباط ١٩٧٥م.

- تفسير القرطبي (ت٦٧١هـ) طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧م.

* تفسير ابن كثير (ت٧٧٤هـ) طبع دار الكتب العلمية بلبنان ١٩٩٤م.

* التفسير الميسر : إعداد نخبة من العلماء ، طبع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف بالمدينة المنورة ١٤١٩م.

* تناسق الدرر في تناسب السور للسيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق عبد القادر أحمد عطا -دار الكتب العلمية بلبنان ١٩٨٦م.
* التيسير في القراءات السبع لأبي عمرو الداني (ت ٤٤٤هـ) ، الطبعة الثالثة ١٩٨٥م، نشر دار الكتاب العربي ببيروت.
* صحيح الإمام البخاري (ت٢٥٦هـ)، طبع المكتبة الثقافية ببيروت-بدون تاريخ-
* مسند الإمام أحمد (ت٢٤١هـ)، طبعة دار صادر ببيروت.
* المنهل:(قاموس) تأليف سهيل إدريس وجبور عبد النور-دار الآداب بيروت.
* نظم الدرر في تناسب الآي والسور لبرهان الدين البقاعي (ت٨٨٥هـ) ط ١٩٧٣/١م مصورة عن الطبعة الهندية.
* الكشف عن وجوه القراءات السبع لمكي بن أبي طالب، تحقيق د محيي الدين رمضان ، مؤسسة الرسالة ببيروت ١٩٨٤م.
* القرآن الكريم وإشكالية الترجمة، ضمن كتاب "دراسات في الاستشراق ومناهجه" للدكتور حسن عزوزي، طبعة فاس ١٩٩٩م.

المراجع الأجنبية

* Arabies: revue semestrielle - Paris - 2 N° (Mars- Mai 1990).
*J . Berque (m 1995) : Le Coran: essai d'interprétation, Sindibad - Paris 1990.

* J. Berque : Mémoires des deux rives , Seuil - Paris 1989.
*J. Berque : Autour d'une traduction du Coran , in Studia Islamica N°79 - Paris 1991
* R . Blachère (m 1973) : Introduction au Coran, 2 em édition , Paris 1977.
*R . Blachère : Le Coran , ed . G-P, Maison-neuve Paris 1957.
* H , Boubaker; Le Coran, traduction nouvelle et commentaire, Paris 1972(2 tomes)
* A ,Chouraqui ; Le Coran ; L'Appel ,ed Robert Laffont , 1990.
*E , Dinet (m 1929); L'orient vu par l'occident . Paris Geuthner 1921.
* M, Hamidullah ; Le Saint Coran, 10 ed Beyrouth 1981.
* H . Jait ; La grande discorde - Paris 1989.
* Larousse ; dictionnaire français.
* D . Masson (m 1995) Essai d'interprétation du Coran inimitable , revue par Sobhi EL Salah Beyrouth 1980.
* Th , Noldeke : (m 1930) ; Geschichte des Qorans, Germany 1969 (3 tomes).
* J . Schacht (m 1958) : Introduction au droit musulman ,trad Kemp et A ,Turki, ed G-P aison neuve Paris 1984.

الفهرس